جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

الحضارة العربية والتاريخ الإسلامى

للصف الثانى الثانوى
(الأدبى)

٢٠١٣/٢٠١٢

غير مصرح بتداول هذا الكتاب
خارج وزارة التربية والتعليم

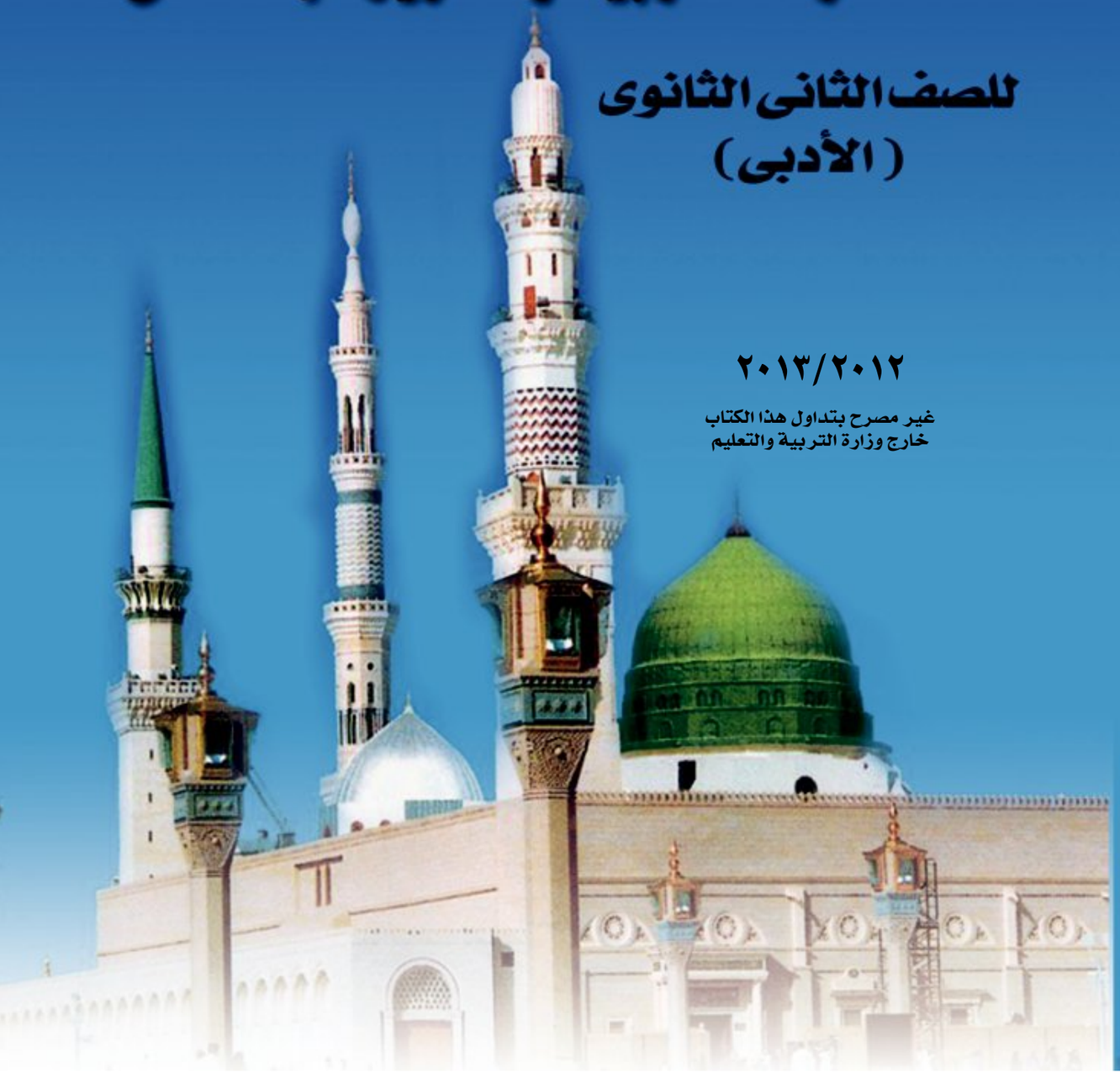

إرشـــادات

- العلم هو الوسيلة الوحيدة التى يرتفع بها الإنسان إلى مراتب الكرامة والشرف، والعلم هو الدعامة الأساسية للأمن القومى لمصر.
- نحن أمة لها مستقبل... بعقول أبنائها وقوة سواعدهم.
- جودة الطعام ليست بقيمته المادية، ولكن بقيمته الغذائية.
- السلام، والحق، والعدل، قيم رفيعة يجب أن نتمسك بها، ونحافظ عليها.
- التدخين عادة سيئة، تدمر الصحة، وتبدد المال، وتعرضك لأمراض الشيخوخة المبكرة.
- من دعائم الديمقراطية أن تعبر عن رأيك فى حرية تامة، وتحترم أيضا حرية الآخرين فى التعبير عن آرائهم.
- صوتك المرتفع دليل على ضعف موقفك.
- ليس بالحفظ والاستظهار تحظى بالتفوق.. ولكن بالفهم والتحليل والتطبيق تزداد معارفك، وتنمو قدراتك.
- مصر تحتاج إلى المفكرين والمبدعين.. فلمَ لا تكون واحداً منهم؟
- نظافة البيئة وحفظها من التلوث، مسئوليتنا جميعاً، وواجهة لحضارتنا العريقة.
- النظافة من الإيمان.
- نظافة مدينتك عنوان لمصر أمام العالم.

مطابع

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

الحضارة العربية والتاريخ الإسلامى

للصف الثانى الثانوى

(الأدبى)

تأليف

أ. د / عطيه القوصى

أ. د / عاصم الدسوقى

أ. د / عبدالعزيز نوار

أ. د / محمد جمال الدين سرور

د / حسنين محمد ربيع

أ / عبدالرحمن يوسف العبد

أ / القطب على هلال

أ / برنس أحمد رضوان

العام الدراسى ٢٠١٢/٢٠١٣

لجنة التعديل

طارق عبدالنبى الحملاوى	موجه أول بمديرية التربية والتعليم ببنها
جيهان حلمى عبدالرحمن	أخصائى ثانوى بمكتب مستشار المواد الاجتماعية
هند عبدالغنى نصر عامر	أخصائى ثانوى بمكتب مستشار المواد الاجتماعية
سماح صلاح إمام عبد القادر	أخصائى ثانوى بمكتب مستشار المواد الاجتماعية
وليد سيد سالم محمد	أخصائى ثانوى بمكتب مستشار المواد الاجتماعية

مراجعة

أ. د / جمال معوض شقرة	أستاذ ورئيس قسم التاريخ كلية التربية (جامعة عين شمس)
أ. إيناس السيد محمد القاضى	مستشار المواد الاجتماعية
د / صلاح الدين عرفة محمود	مدير مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية

تقديم

أعزائى طلبة وطالبات الصف الثانى الثانوى الأدبى

يشرفنا من خلال هذا الكتاب تقديم مقتطفات وملامح من تاريخ الحضارة العربية والنظم الإسلامية - وذلك بهدف توضيح دور الإسلام وقيمه الأصيلة فى بناء أمة شامخة مترامية الأطراف ذات حضارة راسخة ، ولتحقيق هذا الهدف عرضت المادة العلمية من خلال فصول الكتاب على النحو التالى :-

- **الفصل الأول وعنوانه (الحضارة العربية قبل الإسلام) يتعرف الطالب فيه أصول التراث الحضارى للعرب قبل الإسلام فى كل من بلاد اليمن وأطراف ووسط شبه الجزيرة العربية واثر ذلك على الحضارة الإسلامية**
- **الفصل الثانى وعنوانه (نظم الحضارة الإسلامية) يفسر الطالب أسس العقيدة الإسلامية ودورها فى مساعدة كل من ساروا على دربها فى نشأة نظم الحضارة الإسلامية. وفى رسم حدود المعاملات بمختلف أنواعها.**
- **الفصل الثالث وعنوانه (الحياة الاجتماعية فى الإسلام) يفهم الطالب كيف تطور وضع عناصر السكان بالمجتمع الإسلامى وأثر ذلك على تطور الحياة الاجتماعية بها.**
- **الفصل الرابع وعنوانه (انتشار الإسلام والحضارة الإسلامية) يناقش الطالب اسباب انتشار الإسلام والحضارة الإسلامية فى كل من جزر الهند الشرقية وغرب أفريقيا وانعكاسات ذلك على رواج التجارة ونشأة الجاليات الإسلامية هناك.**
- **الفصل الخامس وعنوانه (الحياة الثقافية وتكوين الفكر العربى الإسلامى) وفيه يستنتج الطالب دور كل من مراكز نقل العلم وأئمة التشريع والمؤرخين وحركة الترجمة والنقل فى إثراء الحياة الثقافية والفنية وتكون ملامح الفكر العربى الإسلامى آنذاك.**
- **الفصل السادس وعنوانه (الأخطار الخارجية التى هددت الحضارة الإسلامية)وفيه يستخلص الطالب النتائج التى ترتبت على تعرض العالم الإسلامى للخطرين الصليبى والمغولى ودور مصر الإسلامية فى صد هاتين الهجمتين.**

المحتويات

الحضارة العربية والتاريخ الإسلامى

		الصفحة
الفصل الأول	الحضارة العربية قبل الإسلام والحضارات التى تأثرت بها الحضارة الإسلامية.	١
الفصل الثانى	نظم الحضارة الإسلامية.	١١
الفصل الثالث	الحياة الإجتماعية فى الإسلام.	١٧
الفصل الرابع	إنتشار الإسلام والحضارة الإسلامية.	٢٣
الفصل الخامس	الحياة الثقافية وتكوين الفكر العربى الإسلامى.	٣٧
الفصل السادس	الأخطار الخارجية التى هددت الحضارة الإسلامية.	٦٩

الفصل الأول

الأهداف

فى نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادرًا على أن:

- يعدد الحضارات العربية التى قامت بشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.
- يحدد نظم الحكم التى كانت متبعة فى الدول والممالك القائمة فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.
- يفسر أسباب ازدهار دول وممالك شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.
- يستنتج التأثيرات الحضارية التى استفادت منها الحضارة الإسلامية.
- يقدر أهمية التبادل الحضارى بين الدول.
- يوزع على خريطة صماء الدول والممالك التى كانت موجودة بشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.
- يتتبع على خريطة شبه الجزيرة العربية الطريق التجارى البرى القديم من اليمن إلى الشام.
- يقارن بين حضارة بلاد اليمن وحضارة ممالك الشام من حيث النشأة ومظاهر كل منهما.

القضايا المتضمنة

- العولمة.
- التسامح والتربية من أجل السلام
- حسن استخدام الموارد.

الحضارة العربية قبل الإسلام والحضارات التى تأثرت بها الحضارة الإسلامية

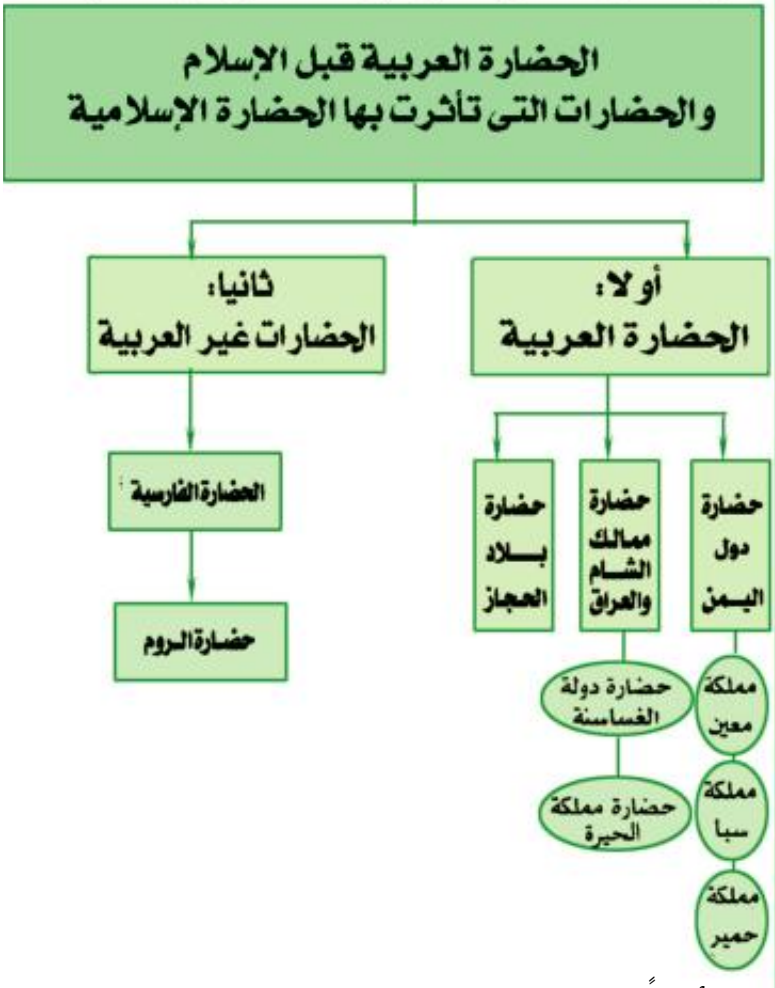

أولاً: الحضارة العربية

لم يكن لدى العرب قبل الإسلام تراث حضارى عظيم، وإن كانت بعض مظاهر الحضارة قد قامت فى بلاد اليمن، وفى أطراف شبه جزيرة العرب فى الدول التى قامت هناك فى شمالها الشرقى وشمالها الغربي، أما فى الحجاز ووسط شبه الجزيرة فلم تقم للعرب دولة هناك قبل الإسلام، بل كانت القبائل العربية تمثل فيما بينها هنالك وحدات سياسية مستقلة لم يصل أى منها إلى مستوى الدولة. كما هو مبين بالخريطة شكل (١).

(أ) حضارة دول اليمن:

قامت فى بلاد اليمن قبل الإسلام ثلاث ممالك كبرى، هى على التوالى: معين وسبأ وحمير، وقد جاءت نهاية آخر هذه الممالك مع قرب ظهور الإسلام، وقد خلفت هذه الممالك آثاراً حضارية تشهد على تقدمها الثقافى والعمراني.

شكل (١) الجزيرة العربية قبل الإسلام

١- مملكة معين (١٣٠٠ ــ ٦٥٠) ق.م:

تأسست هذه الدولة فى منطقة الجوف الجنوبى شرقى صنعاء، وكانت عاصمتها تسمى (قرناو)، وكان الحكم فيها ملكياً وراثياً، ولقد اعتمدت مملكة معين على التجارة الخارجية، فكانت سبب ازدهار اقتصادها.

٢- مملكة سبأ (٩٥٠ـ ١١٥) ق.م:

قامت مملكة سبأ فى الركن الجنوبى الغربى لبلاد اليمن، وتغلبت على مملكة معين وعلى ما جاورها من البلاد وضمتها إليها، وإتخذت مدينة (مأرب) عاصمة لها وكان نظام الحكم فيها ملكياً وراثياً مثلما كان فى مملكة معين، وقد تعاقب على حكم سبأ ما يزيد على الثلاثين ملكا منهم الملكة (بلقيس) التى ورد ذكرها فى سورة النمل، من سور القرآن الكريم مع النبى سليمان بن داود.

تمتعت مملكة سبأ باقتصاد مزدهر، بسبب خصب أرضها واشتغال أهلها بالتجارة العالمية، وأن بقايا الأبنية الفخمة من القصور والقلاع قرب مأرب ونجران تحدثنا عما كانت عليه بلادهم من الازدهار والرخاء، كذلك فإن النقوش التى وجدت على هذه الأطلال تعطينا فكرة طيبة عما وصل إليه أهلها من تقدم ثقافى وعمراني، ومن المنشآت العمرانية المهمة التى أشتهرت بها هذه الدولة بناؤها سد مأرب الذى تم بناؤه ما بين سنوات (٦٥٠ ـ ٦٣٠) ق.م والذى كانت تخزن المياه وراءه لوقت الحاجة، مثلما يفعل سدنا العالى الآن..

ولقد كان إنهيار هذا السد وتصدعه بسبب (سيل العرم) من أهم أسباب ضعف هذه الدولة وأنهيارها كما هو موضح بالخريطة الزمنية شكل (٢).

شكل (٢) خريطة زمنية لتاريخ اليمن القديم

٣- مملكة حمير (١١٥ ق.م ـ ٥٢٥م):

قامت هذه المملكة أول الأمر فى منطقة (قتبان) من بلاد اليمن ـ ما بين مملكة سبأ والبحر الأحمر، ثم تغلبوا على السبئيين وضموا دولتهم إليهم وورثوا ممتلكاتهم وإتخذ الحميريون ريدان (ظفار الآن) عاصمة لهم. وتختلف مملكة حمير عن مملكة سبأ فى إهتمامهم بالفتوح، فقد عمل ملوكها على توسيع رقعة دولتهم فضموا إليهم بعض البلدان المجاورة، ودخلوا بسبب ذلك فى حروب مع الفرس والأحباش والروم، ولقد دخلت المسيحية إلى اليمن فى عهد حكم دولتهم.

ومن ملوك هذه المملكة يوسف ذونواس (٥١٥ ـ ٥٢٥) م الذى اضطهدم نصارى نجران وأحرقهم بالنار فى أواخر حكمه، وهم الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم فى سورة «البروج» بأصحبا الأخدود.

ولقد ظلت هذه المملكة قوية بسبب اتساع رقعة أرضها الزراعية وخصوبتها وتنوع محاصيلها، وبسبب مكاسب التجارة العالمية، لكن هذه الدولة سقطت بسبب تدخل أمبراطور الروم (جستنيان) لنجدة نصارى نجران فكتب إلى نجاشى (ملك) الحبشة يأمره بغزو هذه البلاد، ولقد نجح الأحباش فى غزوهم لدولة حمير وإسقاطها سنة ٥٢٥م، وقد قام (أبرهة) الحاكم الحبشى سنة ٥٧١م (عام الفيل) بغزو مكة لهدم الكعبة، وقد فشلت حملته كما وردت أخبارها فى سورة (الفيل) فى القرآن الكريم. أنظر الخريطة شكل(٣)

ولقد بسط الفرس سيطرتهم على اليمن بعد أن أزالوا حكم الأحباش عنها، وما زال ولاتهم يتتابعون على حكمها حتى كان آخرهم (بازان) الذى أسلم هو وقومه، فأقره رسول الله ﷺ على ولاية اليمن، ومنذ ذلك الوقت صارت بلاد اليمن جزءاً من دولة الإسلام.

(ب) حضارة ممالك الشام والعراق:

شهدت سوريا قبل ظهور الإسلام وانتشاره فى الشمال قيام ثلاث دول عربية وسقوطها على حدودها، وهى دولة الأنباط فى الجنوب، ودولة تدمر فى الشمال، ودولة الغساسنة بينهما.

وقد اشتركت هذه الدول الثلاث ببعض أوصاف عامة فى تاريخها المتعاقب، ويرجع أصلها إلى القبائل العربية اليمنية، كما يرجع ازدهارها إلى تجارة المرور العالمية بين الشرق والغرب، وتحالفت كل منها لبعض الوقت مع إحدى الدولتين العالميتين آنذاك وهما دولتا الفرس والروم، وتلقت المساعدات منهما.

شكل (٣) الممالك العربية فى اليمن قبل الإسلام

دولة الغساسنة

والغساسنة من قبائل «الأزد» التى هاجرت من بلاد اليمن إلى الشام على أثر انهيار سد مأرب وأقاموا حول بئر ماء يقال له غسان فى منطقة حوران حول جبل الدروز، ومن هنا عرفوا بالغساسنة واعتنق الغساسنة المسيحية فى القرن الرابع الميلادي، واتخذوا مدينة (بصري) تارة عاصمة لهم، ومدينة (الجابية) عاصمة تارة أخرى، وكان أعظم ملوكهم الحارث الثانى بن جبلة (٥٢٩ - ٥٦٩)م.

ولقد بلغت دولة الغساسنة درجة كبيرة من الحضارة، وقد تجلت مظاهر هذه الحضارة فى عدد من دواوين شعراء الجاهلية، ومنهم الشاعر العربى الشهير النابغة الذبياني، والشاعر حسان بن ثابت، ولقد جاء ازدهار هذه الدولة الحضارى بسبب الحالة الاقتصادية الزاهرة التى كانت عليها دولتهم،

وتشهد على هذه بقايا ما يقرب من ثلثمائة مدينة وقرية على المنحدرات الشرقية والجنوبية لحوران، ولقد أقام الغساسنة أبنية عديدة تميزت بالفخامة مثل قصر المشتى شرقى البحر الميت، ويستدل من طراز هذه الأبنية على تأثرهم بالفن المعمارى البيزنطى والساساني.

مملكة الحيرة (المناذرة)

وفى الشمال الشرقى من جزيرة العرب فى بلاد العراق قامت مملكة الحيرة العربية على بعد ثلاثة أميال من الكوفة، وقد أقامتها قبائل عربية هاجرت من اليمن بعد انهيار سد مأرب.

ويرجع تاريخ هذه المملكة إلى القرن الثالث الميلادي، واستمرت حتى ظهور الإسلام، وكان لأهل المملكة أثر كبيرفى الحضارة الإسلامية إذ كانوا همزة الوصل بين الفرس والعرب وعلى أيديهم انتقلت الحضارة الفارسية إلى بلاد العرب.

ولقد اشتغل أهل الحيرة بالزراعة وتربية الماشية وساعدهم على ذلك وفرة مياه نهر الفرات، كذلك ظهرت عندهم بعض الصناعات مثل صناعة المنسوجات المختلفة، واهتم أهل الحيرة بالتجارة الداخلية والخارجية وبخاصة مع دولة الفرس.

ولقد ازدهرت الحياة الحضارية فى دولة الحيرة وحرص ملوكها على تقريب العلماء والشعراء إلى بلاطهم، فورد على بلاطهم كثيرمن أشهر شعراء الجاهلية والمخضرمين (شعراء عاصروا الجاهلية والإسلام) مثل النابغة الذبياني.

كذلك تطور الخط العربى عن الخط النبطى زمن حكام الحيرة، كما تقدم الطب عندهم ونبغ فيه عدد من رجالهم، وازدهر المعمار فى مملكة الحيرة، وقد تجلى هذا الازدهار فى قصر (الخورنق)، وقصر (السدير) وغيرها من القصور، وفى الكنائس والأديرة الفخمة وبخاصة دير هند بنت أشهر ملوك الحيرة النعمان بن المنذر.

(ج) حضارة بلاد الحجاز

ظهرت فى بعض بلاد الحجاز قبل الإسلام مثل مكة ويثرب والطائف، بعض مظاهر الحضارة نتيجة للوضع السياسي، والاقتصادى لهذه البلاد، وكانت كل مدينة من هذه المدن أشبه بالمدينة الدولة لها حكومتها ولها نظمها الاجتماعية ومصالحها الاقتصادية. انظر الخريطة رقم (٤).

وكانت لمكة السيادة على الحجاز بسبب قدسيتها لوجود البيت الحرام بها وتقديس القبائل العربية المختلفة لهذا البيت، ولما كان قد وضع حوله من أصنام، وكانت قبيلة قريش

تحكم مكة وتشرف على الكعبة وتتاجر فى رحلتى الشتاء والصيف بين اليمن والشام، وقد جمع

شكل (٤) الطريق التجارى البرى القديم من اليمن إلى الشام

تجار مكة ثروات طائلة جعلتهم يحيون حياة مترفة، كذلك أدى اختلاط تجار قريش بغيرهم من الشعوب إلى التعرف على حضارات الشعوى الأخرى المجاورة والأخذ منها،

وكانت يثرب من مدن الحجاز المتحضرة سكنها الأوس والخزرج من عرب اليمن المهاجرين إليها بعد انهيار سد مأرب، وسكن مع العرب فى هذه المدينة بعض قبائل اليهود واشتغل الجميع بالزراعة.

أما الطائف فقد سكنتها قبيلة (ثقيف) واشتهرت بمزارعها وبساتينها وجودة فواكهها، وكانت لطيب هوائها مصيف أهل مكة، واشتغل أهلها أيضًا بالتجارة بحكم موقعها فى طريق القوافل بين اليمن والشام.

ولقد شهدت بلاد الحجاز تصارعاً بين أديان كثيرة وثنية وسماوية، فإلى جانب عبادة الأصنام والأوثان، فلقد عرفت اليهودية والمسيحية، والمجوسية، لكن عبادة الأصنام والأوثان كانت أشيع العبادات عندهم، وكان (هبل) أعظم أصنامهم، وكان مكانه فى جوف الكعبة، وكان العرب يعظمون الكعبة على أنها أثر أبيهم إسماعيل، وكانوا يطوفون حولها ويهدون الإبل والهدايا لها وللقائمين بخدمتها.

ولقد عاشت بلاد الحجاز قبل الإسلام حياة اجتماعية غير متوازنة، فبسبب التجارة الخارجية نشأت فى مدن الحجاز الرئيسية طبقة اجتماعية غنية وطبقة أخرى فقيرة، مما أدى إلى تخلخل الكيان الاجتماعى لهذه المدن.

وقد أفرز هذا التخلخل بعض الرذائل فى قيم المجتمع الأمر الذى أفاد منه الإسلام فى إقامة المجتمع الفاضل الذى يستقيم الفرد فيه وتستقيم الجماعة.

أما فى الميدان الثقافى فى العصر الجاهلي، فقد تطورت لغة عرب الشمال، ولعب الشعر دوراً بارزاً فى (أيام العرب) مما أدى إلى إثراء الحياة الأدبية فى الحجاز، وكانت تعقد فى أسواق العرب كسوق عكاظ مناظرات شعرية ومساجلات أبرزت المهارات والملكات الأدبية العربية.

ولقد فتحت الجزيرة العربية وبخاصة بلاد الحجاز أبوابها للثقافات الخارجية والحضارات المجاورة وتردد تجار مكة على مراكز هذه الحضارات القديمة وارتادوا بلادها فى الشام وبيزنطة وفارس والحبشة، وعاد هؤلاء التجار وهم يشعرون بضرورة التغيير والتحول وكان الحجاز عامة ومكة خاصة هى البيئة التى شهدت هذه التحولات الهامة فى مختلف جوانب الحياة الأمر الذى مهد كثيراً لتقبل دعوة الإسلام.

ثانيا: الحضارات غير العربية

«أ» الحضارة الفارسية:

الحضارة الفارسية هى إحدى الحضارات القديمة الهامة التى أخذت عنها الحضارة الإسلامية وتأثرت بها بعد أن فتح المسلمون بلاد الفرس وضموها جميعها إلى دولتهم.

وينسب تطور هذه الحضارة إلى الأسرة الساسانية «آل ساسان» الذين حكموا بلاد فارس مع بداية القرن الثالث الميلادي، بعد أن هزموا دولة البارثيين التى كانت تحكم قبلهم وكانت المجوسية الزرادشتية هى ديانة هذه الدولة التى ظلت تدين بها حتى تحول غالب شعبها بعد الفتح الإسلامى لبلادها إلى الإسلام، وكانت لغة هذه الدولة «الفهلوية» وهى اللغة القومية الفارسية.

ولقد أفادت الحضارة الإسلامية من الحضارة الفارسية حين تم ألتقاء الحضارتين فى مجالات عديدة وبخاصة فى مجال الثقافة والإدارة والصناعة والعمارة، وكذلك فى مجال الحياة اليومية فيما يتصل بملبس ومسكن ومأكل.

ففى مجال الثقافة: أثر الفرس فى الأدب العربي، وظهر هذا التأثير واضحا فى مجال الشعر والنثر، ففى الشعر أحدث الفرس تغييراً فى فكر وتعبير ومضمون الشعر العربى القديم، كذلك فى النثر أدخل الفرس البلاغة فى فن الكتابة عند العرب، فظهرت عندهم الرسائل الديوانية وهى نوع جديد من أنواع النثر عند العرب، وأسلوب هذه الرسائل بما فيها من مبالغات وتفخيم وهو أسلوب فارسى أصيل، كذلك أخذ عنهم العرب الحكم والأمثال، ويظهر ذلك واضحا فيما ورد فى كتابى «الأدب الصغير والأدب الكبير» لابن المقفع الفارسي، وفى كتابى «عيون الأخبار» لابن قتيبة و«العقد الفريد» لابن عبد ربه.

وفى مجال السياسة والحكم: أخذ العرب عنهم نظام الملكية الوراثية فى الحكم واستحداث نظام ولاية العهد ونظم الوزارة والحجابة.

وفى مجال الإدارة: أخذوا عنهم بعض الوظائف الإدارية الجديدة، وإنشاء الدواوين والمصالح

الحكومية وتنظيمها وتحديد اختصاصها.

وفى مجال الزراعة والصناعة: أخذ العرب عنهم طرق الزراعة ووسائل الرى وإنتاج بعض المحاصيل الجديدة مستفيدين من خبرتهم الطويلة فى هذه المجالات، أما الصناعة فقد قام العرب بتقليد نماذج الصناعات الفارسية مثل صناعة الخزف والصينى والسجاد والملبوسات المختلفة.

وفى مجال العمارة: أستحدث العرب الطراز الفارسى فى عمارتهم، وهو طراز فيه الفخامة والأبهة فى البناء ويظهر فيه المتانة والاتساع.

أما فى مجال الحياة الاجتماعية والتعامل اليومي، فقد أخذ العرب عن الفرس الميل إلى حياة الترف والتمتع بمباهج الحياة، ونقل العرب عن الفرس مجالس الغناء والطرب ومجالس الأدب وتقريب العلماء والشعراء.

كذلك دخلت فى الحياة الاجتماعية للمجتمع العربى بعض مظاهر المجتمع الفارسى فيما يتصل بالمأكل والمسكن والملبس، وفى الاحتفالات بالأعياد واتخاذ أنواع جديدة من التسلية.

ولقد برز الكثيرون من رجالات الفرس كأعلام من أعلام الحضارة الإسلامية، وكانوا من دعامات النهضة الثقافية والفكرية للحضارة الإسلامية من أمثال: الإمام أبو حنيفة النعمان، وحماد الراوية الشاعر وسيبويه أحد أعلام النحو واللغة والأداب وابن قتيبة وابن إسحق وابن سينا الطبيب الحكيم والفيلسوف المشهور.

«ب» حضارة الروم:

وكما أخذت الحضارة الإسلامية عن حضارة الفرس أخذت أيضا عن حضارة الروم.

ولقد تم الالتقاء الحضارى بين العرب قبل الإسلام والروم من خلال مراكز عديدة للثقافة الرومية مثل «الرها» مقر السريان المسيحيين و«حران» مقر الصابئة عبدة النجوم و«انطاكية» و«الإسكندرية» وكلها مراكز كانت بها مكتبات كبيرة، وكان بها الكثيرمن العلماء السريان الذين تزودوا بالمعارف والثقافة الرومية.

ولما فتح المسلمون هذه البلاد أسلم بعض السريانيين وظل بعظهم على دينه يدفع الجزية، ونبغ كثير منهم فى العصر الأموي، وظلت المدارس السريانية مفتوحة فى عهد، الدولة الأموية كما كانت من قبل ولما جاء دور نقل الفلسفة والعلوم إلى العربية فى العهد العباسى الأول كان لهؤلاء السريانيين، الدور الأكبر فى ترجمتها إلى العربية وهكذا نرى أن الثقافة اليونانية كانت تحت يد المسلمين فى البلدان، المختلفة وأنهم أخذوا يستفيدون منها ويتعلمونها على يد السريان.

والجدير بالذكر أن الاتصال الحضارى بين العرب والروم لم ينقطع فى حالة الحرب وحالة السلم،

وأن التبادل الحضارى استمر بين الجانبين وعن طريق الحروب أخذ العرب من الروم بعض نظمهم وأساليبهم القتالية، ونقلوا عنهم أسلحتهم المتطورة فى الجيش والأسطول فى حالة السلم كانت رحلات المسلمين إلى القسطنطينية عاصمة الروم تمثل عاملاً هاما من عوامل نقل الكثير من مظاهر حضارة الروم إلى بلاد الإسلام.

وعلى أى حال فإن الحضارة الإسلامية كما قلنا حضارة لم تنشأ من فراغ شأنها فى ذلك شأن سابقاتها ولاحقاتها من الحضارات وبعد أن ثبتت أقدام الدولة الإسلامية، ورسخت قواعدها وأخذت فى النقل بما يفيدها من الحضارات القديمة الهندية والفارسية والرومية، فإنها بعد ذلك أنشأت حضارتها المتميزة التى أنارت تاريخ العصور الوسطى وكانت نواة الحضارة الأوروبية الحديثة.

أسئلة الفصل الأول

(١) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة مع ذكر السبب فى الحالتين.

أ - كان للإسلام فضل كبير فى جمع شمل الشعوب العربية. ( )

ب - اشتقت الحضارة الإسلامية مصادرها من الحضارات السابقة. وأخذت منها ما يلائم الحياة الإسلامية. ( )

جـ - قامت فى بلاد اليمن مملكتان كبيرتان. ( )

د- يعتبر الإزدهار الاقتصادى أهم أسباب ضعف دولة سبأ. ( )

هـ - ظهرت دولة تدمر فى جنوب سوريا. ( )

(٢) بم تفسر.....؟

أ - ازدهار مملكة سبأ.

ب - ازدهار الحضارة فى بلاد الشام والعراق.

جـ - أهمية قبيلة قريش.

(٣) ما النتائج التى ترتبت علي.....؟

أ - اتصال العرب بالفرس والروم.

ب - انهيار سد مأرب.

جـ - وجود مملكتى الغساسنة والحيرة على حدود دولتى الروم والفرس.

(٤) دلل على صحة العبارات التاريخية التالية:

أ - عاشت بلاد الحجاز قبل الإسلام حياة اجتماعية غير متوازنة.

ب - أثرت الحضارة الفارسية فى الحضارة الإسلامية فى مجالات مختلفة.

جـ - الالتقاء الحضارى بين العرب والروم قبل الإسلام فى السلم والحرب.

الفصل الثانى

الأهداف

فى نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:

- يفسر أسباب إنشاء عمر بن الخطاب لبيت المال.
- يعدد موارد بيت مال المسلمين ومصارفه.
- يعطى تعريفا صحيحا للمفاهيم التالية، الفيء . الغنيمة. المكوس.
- يحدد أنواع الأراضى التى لايفرض عليها خراج.
- يقارن بين الزكاة والجزية.
- يعد رسما تخطيطيا لأهم موارد بيت المال.
- يلخص النتائج المترتبة على تطبيق أسس العقيدة الإسلامية فى المعاملات المختلفة.

القضايا المتضمنة

- حقوق الأنسان

نظم الحضارة الإسلامية

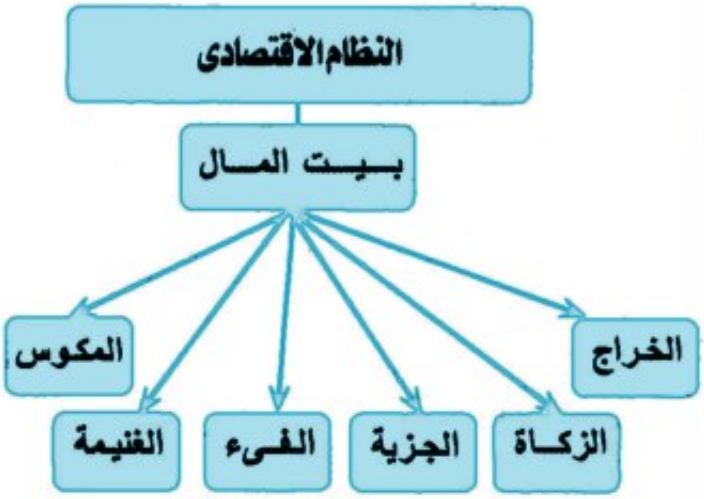

نشأة النظم الإسلامية:

جاء الإسلام بدعوة دين ودولة ودعوة حياة اجتماعية وسياسية وإقتصادية وفكرية ووضع أسس العقيدة التى يجب أن يؤمن بها اتباعه ويسيرون على دربها ورسم حدود المعاملات بمختلف أنواعها كى تساعد على إقامة مجتمع إسلامى متميز.

وانتشر الإسلام فى العالم كدين وقامت دولته منذ هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب وإمتدت هذه الدولة واتسعت فى عهد حكم الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين لتشمل أجزاء كبيرة من بلاد العالم القديم، وقامت الدولة الإسلامية الكبرى التى إمتدت حدودها من حدود الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا، وإنتقل الإسلام كدين دون أن يرافقه حكم العرب المسلمين إلى أقطار أخرى متباعدة فى جنوب شرقى أسيا وأواسط أفريقيا، وامتزج تحت الحكم العربى الإسلامى أفراد شعوب كثيرة اختلفت أجناسها وألوانها ولغاتها وعاداتها وتقاليدها، إستظلت جميعها بظل راية

الإسلام، وبتفاعل هذه العناصر مع بعضها، وفى إطار العقيدة الإسلامية تشكلت الحضارة الإسلامية المتميزة التى وضعت لها نظما تعتبر أساس هذه الحضارة، وأبرز مظاهرها وقد شملت هذه النظم أمور الحكم والإدارة والسلام والحرب والإقتصاد والإجتماع، وكل ما يتصل بتنظيم أمور الدولة، ويحقق آمال شعوبها، وتتمثل هذه النظم فى:

النظام الاقتصادي

★★ بيت المال: (نموذجا للإقتصاد الإسلامي)

حدد الإسلام بعض موارد دخل الدولة الإسلامية، وكانت هذه الموارد تجمع فى مكان يعرف ببيت المال وهو أشبه بخزانة الدولة العامة أو وزارة المالية فى العصر الحاضر.

والخليفة عمر بن الخطاب هو أول من أنشأ بيت المال إذ كان الرسول ﷺ، وأبو بكر من بعده يوزعان الموارد فى حينها ولم يكن يتوفر شيء ليحفظ فى بيت المال، فلما تدفقت الأموال والخيرات فى عهد عمر بسبب الفتح وإتساع الدولة، وتعددت الأوجه اللازمة لتدبير أمر هذه الأموال أمر عمر باتخاذ بيت المال العام، وكذلك أقام عمر فى كل ولاية من ولايات الدولة بيت مال خاص بها يصرف على شئونها، ويرسل ما يفيض عنده إلى بيت المال العام بالعاصمة، ولذلك جعل عمر لكل ولاية أميناً لبيت المال مستقلاً فى عمله عن الوالى وعامل الخراج والقاضي،وكان بيت المال فى عهد الخلفاء الراشدين يعتبر ملكا للمسلمين عامة، لكل منهم نصيب فيه وله راتب شهرى محدد لكن الأمويين ومن بعدهم العباسيين إعتبروا بيت المال ملكًا خاصًا للدولة تتصرف فيه كيف تشاء.

ولقد تمثلت موارد ودخل بيت المال فى: (الخراج والزكاة والجزية والفيء والغنيمة والمكوس).

★★ الخراج:

وهو أقدم أنواع الضرائب لإرتباطه بالأرض عرفته الشعوب المختلفة منذ القدم، وأقرته الدولة الإسلامية على وضع يتفق مع تعاليم الإسلام.

والخراج فى الإسلام هو مقدار من المال أو الحاصلات يفرض على نوعين من أنواع الأراضى وهما:

(١) الأراضى التى فتحها المسلمون بعد حرب وقاتل أهلها دونها دون أن يدخلوا فى الإسلام وقد يرى الخليفة أن تؤول هذه الأرض إلى الدولة بعد أن يعوض المقاتلين عن نصيبهم فيها ويبقى على هذه الأرض أهلها يفلحونها لحاجة الدولة لخبرتهم الزراعية، على أن يدفعوا خراجها وينتفعوا بالباقى نظير عملهم فى الأرض.

(ب) الأراضى التى آلت إلى المسلمين صلحاً ويتصالح أهلها على أداء خراجها على أن تبقى فى

أيديهم يتوارثونها،وليس لأحد أن يأخذها منهم طالما يدفعون الخراج المقرر.

وكان الخراج يؤخذ إما مالاً نقداً أو غلة حسب حاجة الدولة، فقد أخذه الرسول ﷺ من يهود خيبر حين قرر عليهم تقديم نصف ما تخرجه الأرض من المحصول، قليلاً كان أم كثيراً وأخذ عمر الخراج مالاً من أرض السواد بالعراق بعد فتحها.

وكان الخراج يجبى بعد الحصاد، وكانت السنة المالية للخراج هى السنة الشمسية وليست السنة القمرية لإرتباط الزراعة بالنظام الشمسى والفصول الأربعة.

وهناك أنواع من الأراضى لا يفرض عليها خراج، وإنما يؤخذ منها عشر غلتها زكاة وتعرف بالأرض العشرية وهى على أنواع ثلاثة :

١- الأرض التى أسلم أهلها وهم عليها دون حرب.

٢- الأرض التى جلا عنها أصحابها أو كل أرض لم يعرف لها صاحب ووزعت على الفاتحين المسلمين.

٣- الأرض الموات (البور) التى امتلكها المسلمون وقاموا باستصلاحها وإحيائها ولا يجوز تحويل الأرض العشرية إلى أرض خراج.

ولقد أشرف الخلفاء بأنفسهم على جباية الخراج وحاسبوا عمال الخراج حسابا دقيقا لتحرى القيام بالمسئولية ولأن الخراج كان يشكل الدخل الرئيسى لبيت المال بسبب اتساع الزراعة فى أراضى الدولة الإسلامية، كذلك كان الخلفاء يدفعون من الخراج أرزاق الجند ورواتب الموظفين وكافة احتياجات الدولة ويحول ما يفيض من الخراج إلى بيت المال بالعاصمة فيصرفة الخليفة فيما خصص له.

★★ الزكاة:

الزكاة : فريضة فرضها الله على المسلمين، وهى أحد أركان الإسلام الخمسة، وكانت الدولة تتولى جمعها وإنفاقها فى عهد الخلفاء الراشدين، وكانت تشكل المصدر الثانى من مصادر دخول بيت المال.

مصادر الزكاة : للزكاة أربعة مصادر هى : زكاة النقد، وزكاة السوائم (السوائم هى الماشية من إبل وبقر واغنام)، وزكاة الزروع والثمار ، وزكاة المعادن.

مصارف الزكاة : حدد الله تعالى فى كتابه الكريم مستحقى الزكاة فى قوله تعالي:

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(سورة التوبة الأية ٦٠)

★★ الجزية:

ليست الجزية من مستحدثات الإسلام، فلقد عرفت عند اليونان الأقدمين بضريبة الرؤوس وقد فرضوها على سكان سواحل آسيا الصغرى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد مقابل حمايتهم من هجمات الفينيقيين، كذلك فرضها الروم على الشعوب التى اخضعوها لحكمهم وتبعهم الفرس فى ذلك.

والجزية فى الإسلام مبلغ يدفعة أهل الذمة مقابل ما تقدمه لهم الدولة الإسلامية من حماية ورعاية، وبقائهم على ملتهم وعدم إكراههم على تركها، وهى تقابل الزكاة المفروضة على المسلمين وبذلك يتساوى الفريقان المسلم والذمى فيما يدفعه للدولة نظيرما تقدمه له من خدمات وما توفره له من حماية وأمان.

وتسقط الجزية عن الذمى إذا أسلم، والجزية فرضت على الذكور دون الإناث وفرضت على القادرين منهم على دفعها وأعفى الصبيان من دفعها والشيوخ والمقعدون والعميان والرهبان.

★★ الفيء:

هو ما أفاء الله به على المسلمين بالصلح ويقسم الفيء إلى خمسة أقسام متساوية، القسم الخامس منها هو لله ورسوله ويوزع على مستحقيه وفق ما ورد فى كتاب الله تعالى كالتالي:

- سهم للرسول ﷺ ينفق منه على نفسه وازواجه وفى صالح المسلمين، ولقد أسقط أبو بكر هذا السهم بعد وفاة الرسول ﷺ
- سهم لذوى القربي، ويراد بهم قربى رسول الله ﷺ من بنى هاشم وبنى عبد المطلب.
- سهم لليتامي.
- سهم لأبناء السبيل.
- سهم للمساكين.

واستمر التقسيم للفيء على مستحقيه وفق هذا النسق حتى دون عمر بن الخطاب الدواوين وعين أرزاق الناس والجند، وادخل الفيء بيت المال، وصار يصرف منه على الأعمال والأشغال العامة للدولة، وعلى تزويد الجيوش، وشحن الثغور بالمقاتلين والسلاح.

★★ الغنيمة:

وهى ما يغتنمه المسلمون فى الحرب من الأعداء من الأموال المنقولة وهى على ثلاثة أقسام: **أسرى وسبى وأموال**، والأسرى هم الرجال المقاتلون من الأعداء المشركين الذين يقعون فى أيادى المسلمين، وقد اختلف فى حكمهم: منها قبول الفدية عنهم أو إطلاق سراحهم أو تبادلهم بأسرى المسلمين أو

قتلهم فى أضيق الحدود ولظروف خاصة جدا يفرضها الأسير على نفسه★، وذلك وفق ما سار عليه التشريع الإسلامى بعد غزوة بدر.

★★ المكوس:

فرضت فى الدولة الإسلامية ضرائب أخرى عرفت **بالمكوس**، شملت ضرائب الجمارك وهى ضريبة على كل تجارة داخلة إلى بلاد الإسلام برا أو بحرآ، كذلك ضريبة اعشار السفن التى يتم الإتفاق عليها مسبقا على السفن التى تمر بالثغور الإسلامية مرة واحدة فى العام، وضريبة على ما يخرجه البحر من لؤلؤ وعنبر، ويؤخذ عليه الخمس، وضريبة المواريث وهى الأموال التى يموت عنها اصحابها دون أن يكون لهم وارث فتئول هذه الأموال إلى بيت المال.

مصارف بيت المال:

كان يصرف من بيت المال ما يحتاجه ديوان العطاء من أموال لدفع أعطيات المسلمين، كذلك كان يصرف منه أرزاق الجند واعطياتهم ورواتب الولاه والعمال والقضاه، وكان بيت المال يتولى صيانة مرافق الدولة وإنجاز المشروعات العمرانية والزراعية والصناعية، كذلك كان ينفق على تسليح الجيش وتجهيز الأسطول وشراء المعدات الحربية لهما، كذلك كان بيت المال يتولى نفقات قصر الخليفة ونفقة السجون والمؤسسات الاجتماعية وارزاق الفقراء.

★حرص الإسلام على حسن معاملة الأسري، قبل المعاهدات والاتفاقيات الدولية بمئات السنين. ولكن بعض الأسرى كانوا يستمرون فى طلب المبارزة، أو اللعان والسباب أو نقض العهود، ومع ذلك كان القادة المسلمون يحسنون المعاملة إليهم إلى أبعد مدي.

أسئلة الفصل الثاني

(١) بم تفسر...؟

أ) إنشاء الخليفة عمر بن الخطاب لبيت المال.

ب) فرض الجزية على غير المسلمين فى الدولة الإسلامية.

ج) إشراف الخلفاء شخصيا على جباية الخراج.

د) أهمية الجزيرة العربية فى التجارة الخارجية.

(٢) مالمقصود بكل من.....؟

المكوس - الفيء - الأرض العشرية - الجزية.

(٣) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة مع ذكر السبب فى الحالتين

أ) كان بيت المال يتولى صيانة مرافق الدولة.

ب) المكوس ضريبة تفرض على كل مسلم فى الدولة الإسلامية.

ج) كان الفيء يقسم إلى سبعة أسهم متساية على مستحقيها.

د) الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة.

(٤) دلل على صحة العبارات التالية تاريخيا:

أ) التسامح الدينى من مميزات الحكم الإسلامي.

ب) الزكاة نظام اجتماعى ثمرته حفظ التوازن فى الأمة الإسلامية.

الفصل الثالث

الأهداف

فى نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:

- يتعرف العناصر الأساسية المكونة للمجتمع الإسلامى .
- يصف الترتيب الطبقى للمجتمع الإسلامي.
- يفسر أسباب تضاؤل وزن العرب السياسى فى العهد العباسي.
- يحدد النتائج المترتبة على الصراع بين العرب والموالي
- يفسر لماذا اتصفت طبقة العلماء والتجار بأنها طبقة الخاصة.
- يبدى رأيه فى السياسة التى اتبعها المجتمع الإسلامى مع أهل الذمة.
- يقدر اهتمام الحكام المسلمين بالعلماء والشعراء والفقهاء

يقدر قيمة التسامح والمساواة من أجل وحدة الدولة.

- يصمم شكلا تخطيطيا يوضح طبقات المجتمع الإسلامي.
- يقارن بين عناصر السكان فى المجتمع الإسلامى

القضايا المتضمنة

- حقوق الإنسان.
- الوعى القانونى ومعرفة الحقوق والواجبات.
- احترام العمل وجودة الإنتاج.
- التسامح والتربية من أجل السلام.

الحياة الاجتماعية فى الإسلام

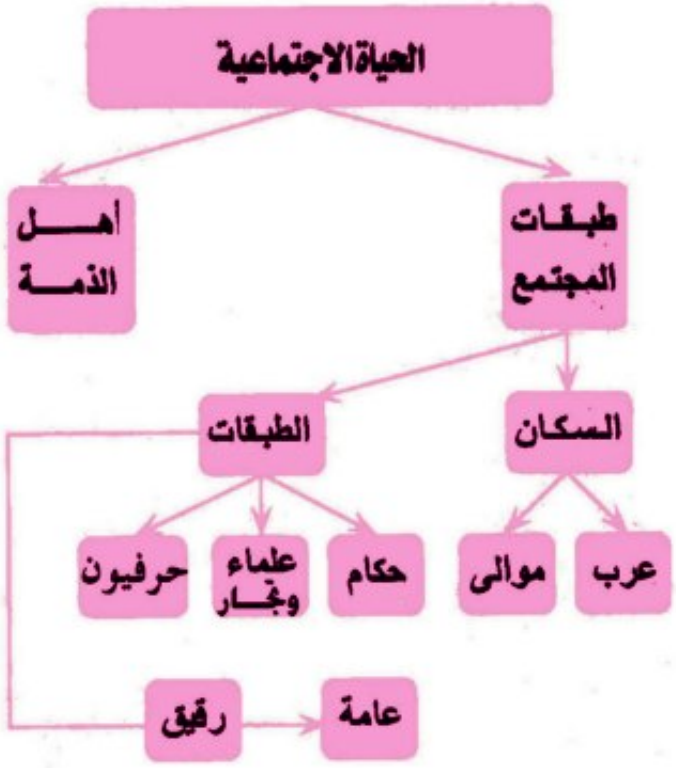

أولا: طبقات المجتمع وتطورها:

(أ) عناصر السكان فى المجتمع الإسلامي:

احتوى العالم الإسلامى على عنصرين اساسيين من عناصر السكان لم يعيشا منفصلين بل نشأ التمازج، وتم الاختلاط بينهما، وهذان العنصران هما: العنصر العربي، وعنصر الموالي.

- العنصر العربي:

هو العنصر الذى كون الدولة العربية الإسلامية، وهو الذى كان له الحكم فيها، وهو الذى حقق النصر على اكبر أمتين كانتا فى عصره وهما، الفرس والروم، ولقد أعطاه هذا النصر نوعا من الثقة والاعتداد بالنفس جعله فى ظل الإسلام يفتخر بأصله العربي

ولقد شهد العصر الأموى الصراع بين العرب وغير العرب والصراع بين العرب أنفسهم بين اليمنية والقيسية مما كان له اسوأ الأثر على الدولة وكان من أهم أسباب تدهورها وسقوطها. ولقد تضاءل وزن العرب السياسى فى العهد العباسي،بسبب سياسة هذه الدولة فى الاعتماد على عناصر غيرعربية.

وأخص ما نلاحظه عن العرب فى العصر العباسي، هو اتصالهم بغيرهم من الشعوب سواء بالهجرة إلى بلاد غيربلادهم أو مرابطة جيوشهم فى الثغور، أو بانتقال الموالى إلى بلادهم.

ـ الموالي:

أطلق العرب كلمة الموالى على الشعوب التى دخلت تحت لوائهم زمن الفتوحات الإسلامية ولم يكونوا من العرب وهى كلمة تحمل فى معناها التبعية، ولقد شملت هذه التسمية شعوب الفرس والروم والبربر والأرمن والترك وغيرهم، ولقد تغلغل هؤلاء الموالي، (الذين اعتنقوا الإسلام) فى الحياة الإسلامية وشاركوا فيها فى جميع فروعها.

(ب) الترتيب الطبقى فى المجتمع الإسلامي:

بعد نضوج الدولة الإسلامية قسم المجتمع على أساس العناصر المكونة له، ثم نجده ينقسم إلى نظام هرمى يتكون من طبقات عدة كالتالي:-

ـ طبقة الحكام:

وهى الطبقة التى تأتى على قمة الهرم الاجتماعي، وتتمثل فى الطبقة الخاصة التى تشمل الخلفاء والأمراء والوزراء وأفراد البيت الحاكم وكبار القادة وكبار رجال الدولة، وتعد هذه الطبقة أعلى طبقات الدولة، وهى الفئة التى كانت لها الميزات ونعمت بالحياة المترفة، ولقد كان لرجال الفرس السيادة داخل نطاق هذه الطبقة فى العصر العباسى الأول، وبعد ذلك صارت لقادة الترك فى العصر العباسى الثاني.

ـ طبقة العلماء والتجار:

ولقد اتصفت هذه الطبقة بطبقة الخاصة، نظرا لارتباطها بطبقة الحكام، وكان من تأثير العصر العباسى تشجيع العلم والعلماء، لذلك عاش العلماء فى رغد من العيش، وكان لهم زيهم الخاص وامتيازاتهم المخصصة.

وكان الحكام يغدقون على من يتصل بهم من العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء وكانوا يخصصون لهم رواتب ثابتة وأماكن خاصة مقربة فى مجالسهم.

وكان للعلماء تأثيرهم القوى فى المجتمع، وقد قام بعضهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خير قيام، ووقف بعضهم أيضاً ضد الحكام المنحرفين، وحاربوا التحلل فى المجتمع والزندقة فى العصر العباسى الأول محاربة شديدة، وكان علماء المعتزلة من أبرز العلماء الذين تصدوا للزنادقة.

ومثل التجار أرستقراطية المال فى الدولة بعد ازدهارها اقتصاديًا، وكان بعض هؤلاء التجار من العلماء، وتعامل كبار التجار فى السلع مرتفعة القيمة من بضائع تجارة الشرق الغالية، وارتبط بعضهم بقصور الخلفاء والحكام وكبار رجال الدولة ارتباطاً مباشراً، وكانوا شركاء لهم فى تجارتهم.

ـ الحرفيون والصناع:

كانوا يؤلفون فئة نشطة داخل المجتمع الإسلامي، وكانوا ينتمون إلى عناصر وطوائف مختلفة، ولقد تكفل أصحاب كل حرفة بتنظيم مصالحهم المشتركة، وكان لهم عريفهم الخاص بهم والمسئول عنهم أمام الدولة.

وقد شكل الحرفيون والصناع فى الدولة الإسلامية الطبقة الوسطى التى سكنت المدن وتمثلت فيها القيم والمثل والعادات والتقاليد، وقد مالت هذه الطبقة إلى طبقة العامة فى ثوراتهم ضد الحكومة، وكل أرباب حرفة وصنعة يسكنون فى حى يعرف بإسمهم.

ـ عامة الشعب:

كانوا يمثلون غالبية الشعب ويحتلون قاعدة الهرم الإجتماعي، وينضم تحت لوائهم الفلاحون والعمال وصغار الحرفيين وصغار التجار.

وتألفت من العامة جماعات تميزت بالطابع الثورى ضد الحكومة، وكانت تشارك فى الثورات التى قامت ضد الخلافة العباسية وقام بعضهم ببعض أعمال السلب والنهب مخالفين تعاليم الدين الحنيف وكانت الدولة تتملق العامة فى بعض الأحيان وتنعم عليهم ببعض الإنعامات إتقاء لشرهم فى أوقات ضعفها.

ـ الرقيق:

الرقيق كلمة تطلق على من فقد حريته من الناس وأصبح ملكًا لغيره، ولقد أطلق الكتَّاب على المسترق الأبيض: مملوكًا، والأسود: عبدًا، وعلى المسترقات البيض من النساء: جواري، والسود منهن: إماء.

وقد ساعد الإسلام على إلغاء الرق والقضاء عليه بشكل كبير، حيث جعل - على سبيل المثال - العتق كفارة لليمين والظهار وكفارة لطم السيد للعبد على وجهه..!

أما الآن.. فقد انتهى هذا النظام وأصبح إسم من يؤسر فى الحرب مع المسلمين أسيراً وتحكمه معاهدات وإتفاقيات دولية ★.

ثانياً: أهل الذمة فى الإسلام:

الذمة فى اللغة هى العهد والأمان والضمان وأهل الذمة تسمية أطلقت على المستوطنين فى بلاد الإسلام من أهل الكتاب، وقد سموا بهذه التسمية لأنهم إرتضوا أن يدفعوا الجزية لدولة الإسلام فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وملتهم، وصاروا أمانة فى ذمة المسلمين.

وأهل الكتاب هم أصحاب الكتب المقدسة من اليهود والنصاري، وقد ألحق بهم المجوس فى عهد عمر بن الخطاب، كما ألحق بهم البربر فى عهد عثمان، والصابئة فى عهد المأمون، وقد عم إستعمال إسم أهل الذمة أو الذميين فى الدولة الإسلامية للدلالة على غير المسلمين، وبخاصة اليهود والنصاري، الذين يعيشون تحت رعاية الدولة الإسلامية وفى ظل حمايتها.

ـ وضع أهل الذمة فى المجتمع الإسلامي:

وضع أهل الذمة لم يمض على نسق واحد خلال العهد الإسلامى الطويل وفى بقاع الإسلام المختلفة، وكان هذا الوضع يتأثر فى بعض الأحيان بالأحداث الخارجية التى تقع على المجتمع الإسلامى من قبل الروم أو الصليبيين.

وظهرت بسبب ذلك بعض التشددات من قبل بعض حكام المسلمين لفترات وجيزة كما فرضت بعض قيود على الذميين بسبب روح التعصب الدينى التى سادت عالم العصور الوسطى فى بلاد المسلمين وبلاد الفرنج على السواء وكانت هذه الاستثناءات والقيود تلغى، والمساواة تعم مثلما حدث أيام الرشيد والمتوكل والحاكم بأمر الله الفاطمي.

ولقد إستمرت الكنائس المسيحية والمعابد اليهودية تبنى بإستمرار فى بلاد العالم الإسلامى حتى الأن

وكان لأهل الذمة الحرية الكاملة فى ممارسة شعائرهم الدينية العامة فى الأمصار الإسلامية، فكانت النواقيس تدق والأبواق ينفخ فيها والمواكب الدينية تسير بالصلبان والمجامر

دون إعتراض ولدينا فى المصادر التاريخية أوصاف كثيرة لإحتفالات أعياد النصارى واليهود والمجوس فى مصر والعراق وفارس، وكانت هذه الأعياد فرصة للهو لجميع الناس، وكثيراً ما كان الخلفاء والحكام يشاركون فيها بأنفسهم أو بممثلين عنهم تكرمة لأصحابها.

★ أهم هذه الاتفاقيات: اتفاقيات جنيف الأربعة لعام ١٩٤٩م والبروتوكولين الإضافيين المكملين لهم.

وقد تخصص أهل الذمة فى بعض الأعمال فى المجتمع الإسلامي، فعمل كبراؤهم فى التجارة والصيرفة والجهبزة (★) والكتابة فى الدواوين، كما عملت الطبقة المتوسطة منهم فى الزراعة وفى صناعة النسيج والدباغة والصباغة، كما عمل الفقراء منهم فى الأعمال المتصلة بالنظافة والأسواق وعملوا إسكافيين وحدادين.

(★) الجهبزة: هى العمل فى بيوت المال

أسئلة الفصل الثالث

١ - بم تفسر..... ؟

أ) تضاؤل وزن العرب السياسى فى العصر العباسي.

ب) إرتفاع شأن العلماء فى العصر الإسلامي.

٢- أكمل العبارات التالية بالكلمات المناسبة:

أ) شهد العصر الأموى الصراع بين العرب و.....

ب) أطلق العرب كلمة..... على الشعوب التى دخلت تحت لوائهم.

جـ) كان لكل حرفة..... خاص بهم والمسئول عنهم.

د) تخصص أهل الذمة فى بعض الأعمال وخاصة.....

هـ) شارك فى الحياة الإسلامية..... وهم من الفرس والروم والبربر.

٣- ضع علامة (✓) أو علامة (×) أمام ما يناسبها من العبارات التالية مع ذكر السبب فى الحالتين:

أ) حرص الإسلام على إظهار أهل الذمة لشعائرهم الدينية.

ب) قامت الثورات فى الدولة العباسية وأهمها ثورتا الزنج والقرامطة.

جـ) كان عنصر الموالى هو العنصر الأساسى المكون للدولة العربية الإسلامية.

د) كان علماء المعتزلة أبرز العلماء الذين تصدوا للزندقة.

هـ) كان أرباب كل حرفة يسكنون حيا يعرف باسمهم.

٤- ما المقصود بكل المفاهيم الآتية..... ؟

أ) الجهبزة ب) الرقيق جـ) الموالي

٥-دلل على صحة العبارات التالية تاريخيا:

أ) سماحة الإسلام حيال أهل الذمة.

ب) عاش العلماء فى رغد من العيش.

الفصل الرابع

الأهداف

في نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:

- يتعرف أهم المناطق التى انتشر فيها الإسلام فى جزر الهند الشرقية، وغرب أفريقيا وشبه القارة الهندية.
- يفسر النتائج المترتبة على النشاط التجارى واستقرار التجار فى موانئ الشرق الأقصي.
- يقارن بين سبل نشر الإسلام فى جزر الهند الشرقية وغرب أفريقيا.
- يدلل على اعتماد المسلمين على الإقناع فى نشر الإسلام وليس بالسيف.
- يعى الدور العظيم الذى بذله التجار والدعاه والمسلمون فى نشر الإسلام فى جزر الهند الشرقية وغرب أفريقيا.
- يقدر أهمية الاعتماد على الإقناع السلمى فى نشر الدعوة الإسلامية.
- يحدد طرق التجارة ومراكزها فى العصور الوسطى على خريطة العالم الإسلامى الصماء.
- يقدر دور المغول فى نشر الإسلام فى شبه القارة الهندية

القضايا المتضمنة

- القانون الدولى الإنساني.
- التسامح والتربية من أجل السلام.

انتشار الإسلام والحضارة الإسلامية

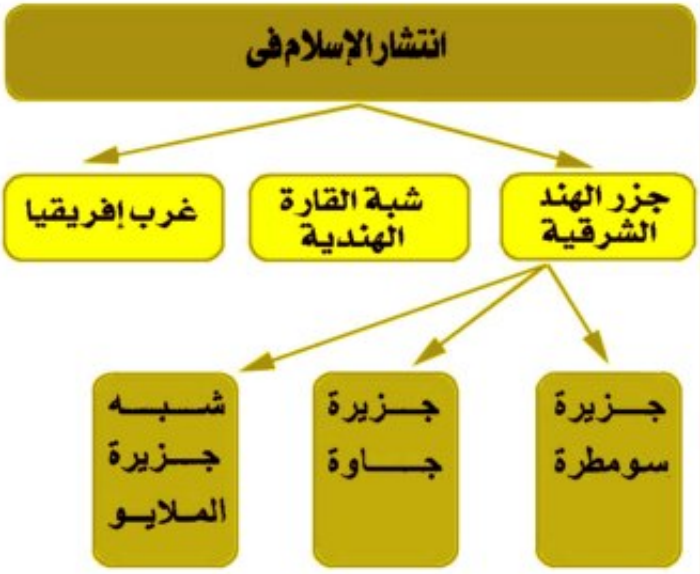

أولاً : فى جزر الهند الشرقية:

كان للعرب جاليات تقيم بسواحل الهند وفى بعض المدن الأخري. وقد نشأت تلك الجاليات من الجموع الغفيرة من تجار العرب الذين كانوا ينقلون بضائعهم إلى الصين وجزر الهند. وقد أدى ذلك إلى تركزهم على الساحل الغربى من بلاد الهند الجنوبية. حيث نشأت علاقات ودية وطيدة بينهم وبين حكام تلك البلاد من الهنود والذين تولوا حمايتهم.

وفى أوائل القرن الثامن الميلادى تجاوزت الجيوش العربية الإسلامية حدود فارس وفتحت بلاد السند. مما أدى إلى نشاط الحركة التجارية.

ـ طرق التجارة:

١- الطريق البحرى (من غرب أوروبا عبر مصر إلى المشرق) مرورا بالبحر الأحمر وموانيه المختلفة.

٢- الطريق التجارى (من بلاد الروس وبلاد المشرق عن طريق بحر قزوين) إلى بخارى وسمرقند ثم إلى الصين.

٣- الطريق التجارى (من مصب نهر السند إلى داخل بلاد فارس).

٤- الطريق البرى (من غرب أوروبا إلى المشرق) بدءا من الأندلس عبر مضيق جبل طارق، فالمغرب العربى إلى مصر ثم الشام فالعراق ففارس وصولا إلى الهند والصين.

وقد نشأ نتيجة للنشاط التجارى فى الدولة الإسلامية عدد من المراكز التجارية الخارجية أهمها سيراف على الخليج العربي،

وقد نافست ميناء البصرة من حيث الغنى والثروة. أنظر الشكل رقم (٥)

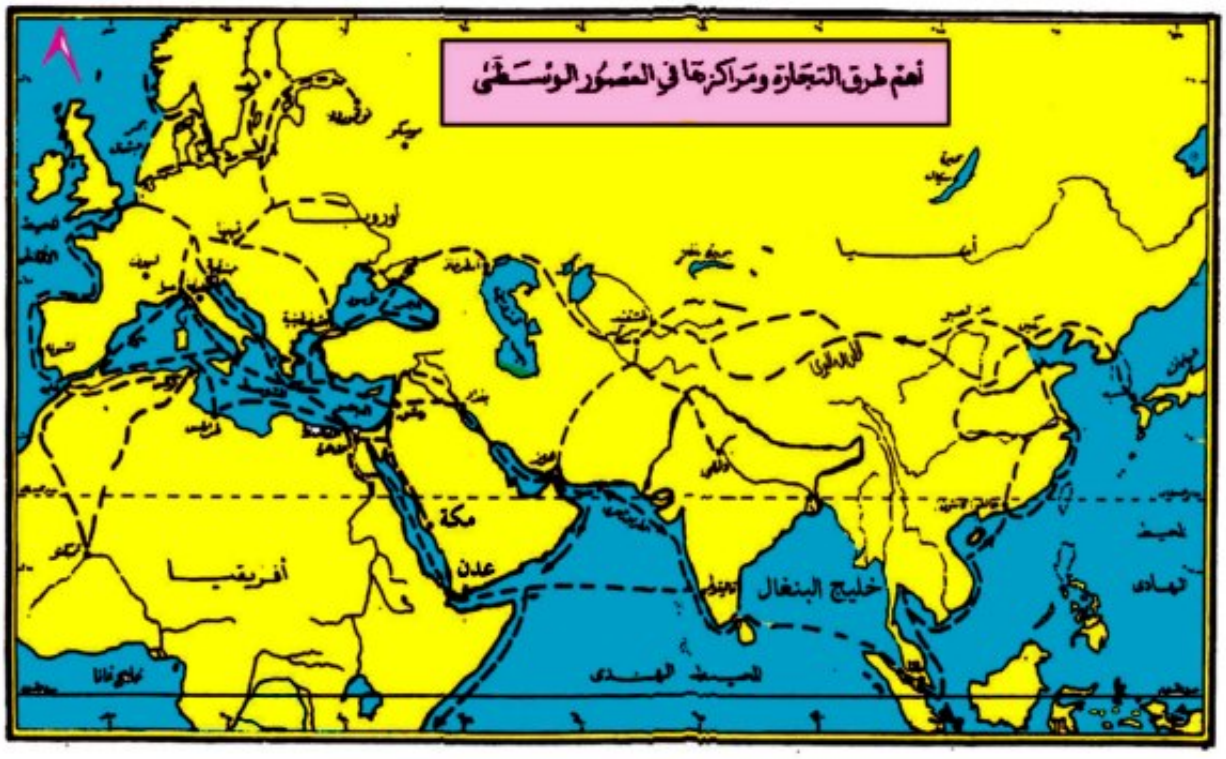

شكل رقم (٥) خريطة أهم طرق التجارة ومراكزها فى العصور الوسطي

إنتشار الإسلام فى جزر الهند الشرقية:

أدى النشاط التجارى وإستقرار التجار فى موانئ الشرق الأقصى إلى إنتشار الإسلام هناك حيث وفد الدعاة المسلمون إلى تلك البقاع وإنتشروا بين مجموعة جزر الهند الشرقية (جمهورية أندونيسيا الحالية). كما حرص التجار المسلمون على الإندماج مع أهل تلك الجزر والتزوج منهم، وكان لذلك أكبر الأثر فى إستقرار الإسلام فى الأطراف الساحلية لجزر الهند الشرقية.

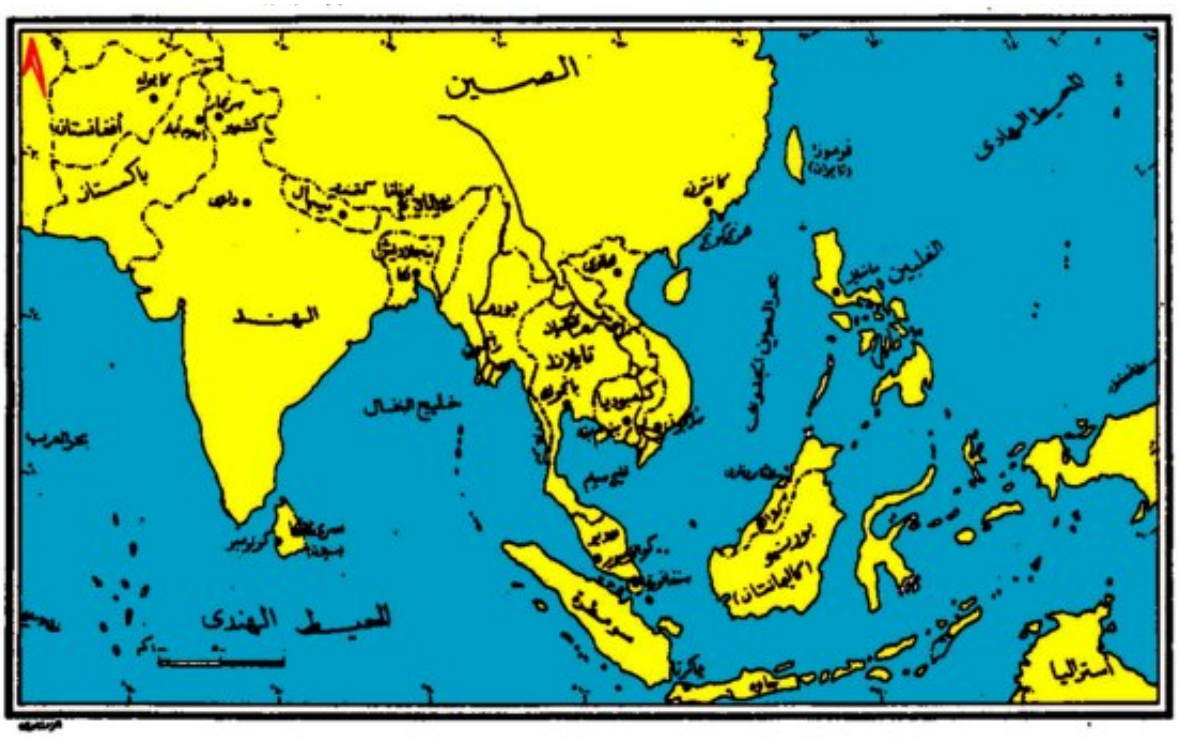

شكل رقم (٦) أقطار جنوب وجنوبى شرق آسيا

١- فى جزيرة سومطرة:

إنتشر الإسلام فى جزيرة سومطرة خلال القرن الثالث عشر الميلادى بفضل جماعة من التجار والدعاة المسلمين. وفى خلال القرن الرابع عشر الميلادى شارك شريف مكة فى نشر الإسلام فى جزيرة سومطرة بأن أرسل عددا من الدعاة إليها لتفقيه أهلها فى شئون الدين وبعدها تولى أهل سومطرة مسئولية نشر الدين الإسلامى بين جيرانهم،

وإستمروا فى ذلك حتى هاجم الهولنديون الجزيرة وإستولوا عليها. ولكن الإسلام ظل قويا ولم يتأثر بالحركة التبشيرية الهولندية التى وجهت إليهم.

٢ - فى جزيرة جاوة:

عندما دب الخلاف بين أبناء الأسرة الحاكمة فى الجزيرة تمكن زعماء الجاليات الإسلامية من نشر الدين الإسلامى فيها وحرص بعض أبناء جزيرة جاوة على الذهاب إلى مكة لدراسة أصول الدين، وعادوا لتصبح جاوة مركزا جديدا لنشر الإسلام فى جزر الهند الشرقية وشبه جزيرة الملايو.

٣- إنتشار الإسلام فى الملايو:

إنتقلت بعض الجاليات الإسلامية إلى شبه جزيرة الملايو فى القرن الثالث عشر الميلادى وإستقروا فى الأطراف الجنوبية منها. وتمكن أحفادهم من تأسيس مدينة ملقا (ميناء سنغافورة) الآن، وهى تقع على الطريق التجارى الهام بين الشرق الأقصى والهند وبلاد العرب.

ولم تلبث هذه المدينة أن غدت أهم مركز إشعاع للدين الإسلامى فى المنطقة. وبنفس طريقة نشر الدين الإسلامى السابقة كان إنتشاره فى جزيرة بورنيو. ويمتاز المسلمون فى الملايو بالتسامح الدينى مع الحرص الشديد على تعاليم الدين الإسلامي. مما هيأ لهم فرصة نشر دينهم بالطرق السلمية بين جيرانهم، انظر الخريطة شكل (٦)

ثانيا : إنتشار الإسلام فى شبه القارة الهندية

وصلت الدولة المغولية بشبة القارة الهندية فى القرن العاشر الهجرى ، بالحكم الإسلامى فى هذه البلاد إلى درجة كبيرة من التقدم ، فضلاً عن اتساع نفوذ المسلمين ، وتحول عدد كبير من أهل الهند إلى الإسلام وقد عاصرت هذه الدولة فى بداية نشأتها دولتين إسلاميتين هما : الدولة الصفوية التى قامت فى فارس وإمتد سلطانها إلى خراسان والعراق ، والدولة العثمانية التى كانت آنذاك تحكم آسيا الصغرى وأجزاء من أوروبا والتى ما لبثت أن امتد سلطانها إلى الشام ومصر وأجزاء من فارس ، وكانت الدولة المغولية أحدث هذه الدول جميعاً ويعد حكامها من أكثر ملوك عصرهم تسامحاً وأعظمهم شغفاً بالحضارة والمدنية، فلم يقتصر تسامح حكام هذه الدولة على مجرد إطلاق حرية العبادة لأهل البلاد من الهنادكة بل أجازوا لهم تقلد المناصب وقربوهم إليهم ، وحثوا رعاياهم من المسلمين على ذلك ليستهوى الإسلام كثيراً منهم ، وهدف الأمراء التيموريون حكام هذه الدولة بتسامحهم إلى تآلف سكان الهند واتحاد شعوبها لتقوى بهم دولتهم وترسخ أسسها ٠

أدى الإسلام ببساطته ودعوته للمساواة بين أتباعه إلى تأثر فريق من مفكرى الهنادكة بتعاليمه ، فنادوا بمذاهب ومبادئ جديدة خففت كثيراً من تشدد نظام الطبقات وأنكرت صراحة عبادة الأوثان ، ودعت إلى عبادة إله واحد وفى هذا الفصل نتناول حضارة الهند الإسلامية فى عهد الدولة

المغولية التى أقامها (ظهير الدين محمد بابر) حفيد تيمورلنك وجنكيز خان بشبه القارة الهندية فى أول الربع الثانى من القرن العاشر الهجرى وظلت تحكم هذه البلاد أكثر من ثلاثة قرون حتى إنتزعها البريطانيون منها ٠

حضارة الدولة المغولية فى الهند

لما فتح المسلمون بلاد الهند وتوغلوا فى أراضيها وإستقروا بها ، حرصوا على التعرف على ما عند الهنود من ثقافة ومدنية ، وإستطاعوا أن يلموا ببعض عناصرها ونشأ عن إمتزاج حضارة الحاكمين بحضارة المحكومين القديمة ، ومدنيتهم حضارة ثالثة ، إشتملت على عناصر هاتين الحضارتين ، عرفت بإسم الحضارة الإسلامية الهندية التى بدت فى أكمل صورها فى عهد الدولة المغولية ، وظلت قرابة ثلاثة قرون وأدى التسامح الذى اشتهر به سلاطين الدولة المغولية إلى العمل على تقريب سكان الهند

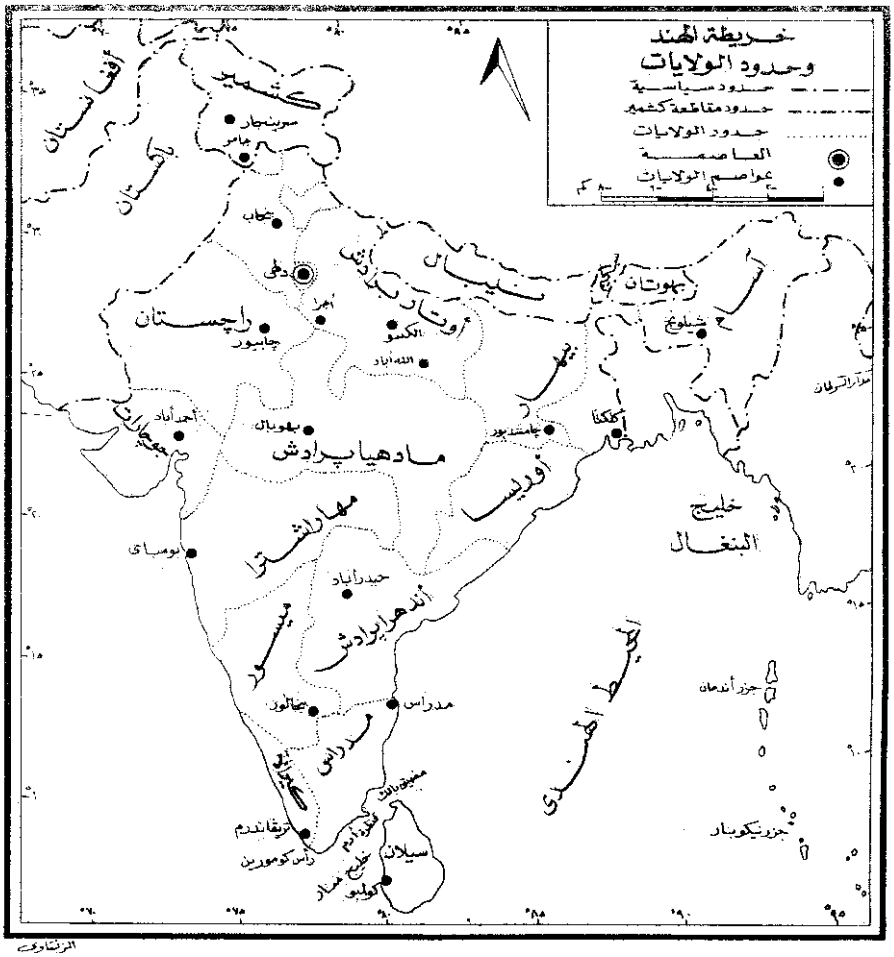

شكل (٧) خريطة الهند

إليهم مما ساعد على نشر الإسلام فى الهند حتى صارت غالبية المسلمين بشبة القارة الهندية اليوم من أصول هندوكية خالصة ، وإذا كان (بابر) مؤسس هذه الدولة لم يطل به الأجل بعد إقراره الأمور فى الهند ، وقضى إبنه (همايون) حياته فى صراع متواصل من أجل عرشه فإن جلال الدين أكبر – ثالث السلاطين – هو أول من أفصح عن التسامح المطلق ، وجهر بالتآلف فنادى بأن الهند للهنود من أهلها مسلمين وهنادكة وهو الذى بلغ كذلك بالدولة المغولية ذروة المجد والرقى ، فقد نهض بالعلوم والآداب نهضة شاملة ، وأقام فى الهند كثيرا من المنشآت ، ونظم جهاز الحكم على أسس تلائم شعبه ، وحذا حذوه من خلفوه فى الحكم ٠

أولاً : نظام الحكم :

كانت السلطات جميعها فى الدولة من عسكرية ومدنية ودينية فى قبضة السلطان ، ورغم ذلك حرص السلطان على مشاورة رجاله فى تصريف شئون الدولة على أحسن وجه يكفل صالح الأهلين كما عمل السلاطين على إقرار العدل ووصول الشكاوى إليهم فضلاً عن أنهم يجلسون للشعب دون حاجب لسماع شكواهم وكان يعلق على أبواب القصر أجراس يستطيع أى مظلوم أن يدقها ليبلغ السلطان بشكواه .

الوزراء والقادة والأمراء :

وكان السلطان يعتمد فى تصريف الأمور على طائفة من كبار الدولة ، وعلى رأسهم وكيل السلطنة : ويأتى من بعد الوكيل فى المرتبة الوزير وهو القيم على شئون المال فى الدولة ٠

ويليه موظف كبير يدعى «**ميرنجتش**» يختص بدفع مرتبات الجند والقادة ، ويشرف على شئون

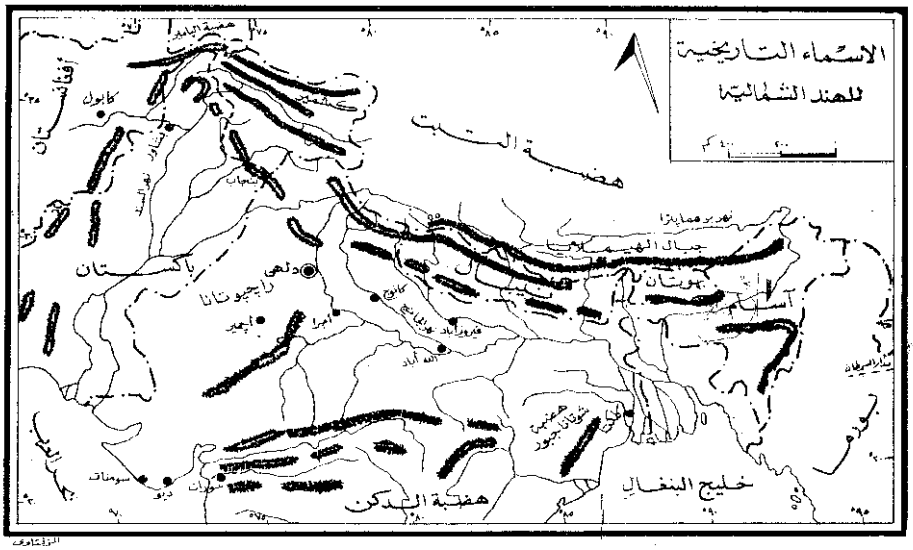

شكل (٨) الاسماء التاريخية للهند

البلاط ويعد مسئولاً بصفة خاصة عن جيش السلطان الخاص ٠ ويليه «**خان سامان**» ويختص بالإشراف على البلاط ، وكان يلازم السلطان فى حله وترحاله، ثم قاضى القضاة ويعهد إليه بشئون القضاء وإجراءاته وفق الشرع ومن موظفى الدولة أيضاً **المحتسب** ويختص بمراقبة سلوك الناس ومنع ممارسة البدع وإرتكاب ما ينافى الشرع والآداب . وإلى جانب هؤلاء كان هناك فريق آخر من الموظفين دونهم فى المنزلة مثل **المستوفى** محاسب الدولة الأول و**الكتول** وهو بمثابة رئيس الشرطة وكان يعهد إليه حراسة المدينة فى الليل والبحث عن اللصوص وقطاع الطرق ورقابة الأسواق ثم صاحب البريد ، وأمير العرض ، الذى يرفع إلى السلطان الالتماسات والشكاوى ٠

النظام الإدارى :

قسمت أراضى الدولة إلى ولايات ، وكل ولاية إلى مراكز وكل مركز إلى دساكر وكان يتولى رئاسة الولاية القائد العام (السمالار) وهو نائب السلطان بها ، ولم يكن له أن يدخل فى حرب أو يعقد تحالفاً أو صلحاً إلا بعد مشورة السلطان ويختص بالإشراف على شئون القوات والقضاء فى إقليمه ٠

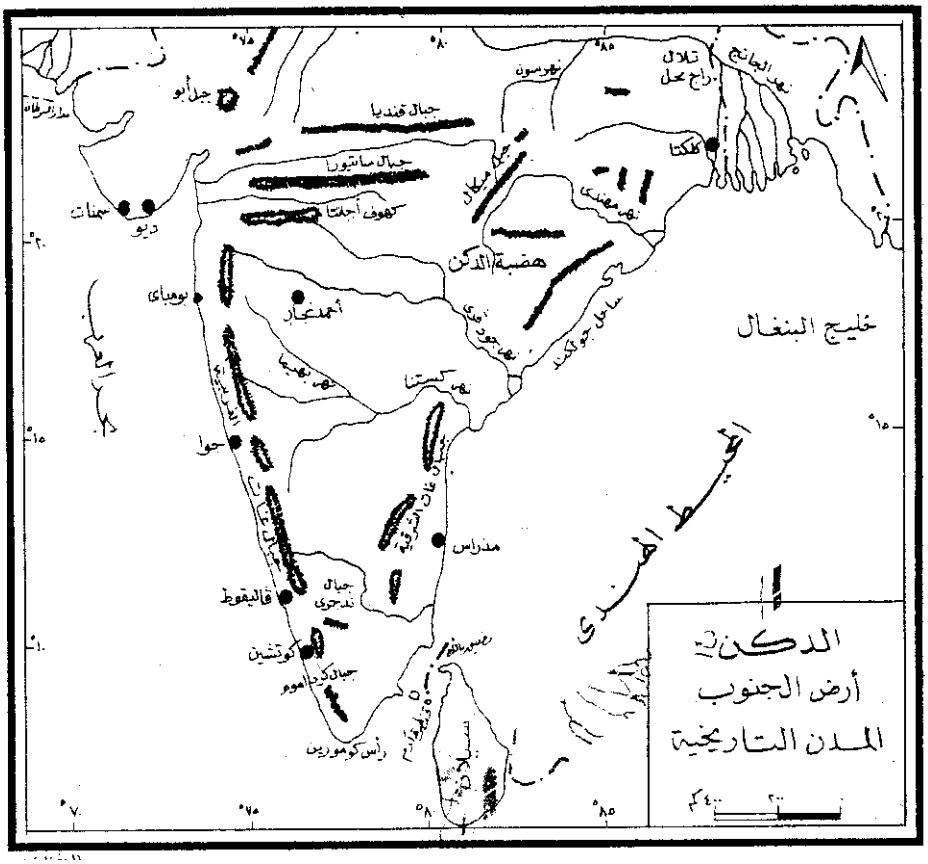

شكل (٩)

ثانياً :الصناعة والعمارة والفنون

عنى السلطان « أكبر » بالصناعات الهندية ونهض بها ، فيروى مؤرخه « أبو الفضل » أنه كان لديه عدة مصانع للنسيج والأسلحة ، كل واحد منها كالمدينة فى إتساعه ، ومنها ما كان مخصصاً لإعداد ألف حلة يخلع أغلبها على رجاله وتقع أهم مراكز الصناعة المغولية فى لاهور وأكرا ، وأحمد أباد ٠٠ وكانت تصدر المنسوجات الفاخرة على اختلاف أنواعها والسجاد إلى بعض الأقطار وكان الأوربيون يفضلون الثياب الزاهية المصنوعة فى الهند٠

العمارة:

أدى اهتمام البابريين بالعمل على ازدهار الحضارة فى بلادهم إلى عنايتهم بتعمير مدنهم ، فظهر فى عهدهم طراز معمارى يعد مزيجاً من فنون المسلمين فى الغالب ، وبعض الفنون الهندوكية ، عرف باسم الطراز المغولى ، ويتميز بالقباب البصلية الشكل والترصيع بالأحجار الكريمة والخزف والأقواس والأبواب الفخمة

انتقد «ظهير الدين بابر» أبنية الهند منذ دخلها وأظهر عدم موافقته على عمارتها ولم يمنعه اشتغاله بحروبه المتواصلة فى هذه البلاد من إقامة كثير من المنشآت على الطراز التيمورى الذى عرفه فى موطنه الأول ببلاد ما وراء النهر وشاهده فى مواضع كثيرة بخراسان وكابل ، وقد روى أنه كان يستخدم ٦٨٠ من النحاتين فى بناء قصوره بخلاف ١٤٩١ آخرين كانوا يعملون فى منشآته الأخرى من الخزانات والمساجد بأكرا وغيرها من المدن ٠

ولما خلفه حفيده «أكبر» زين الهندستان بعدة منشآت فخمة جاءت عمارتها آية فى الإعجاز الفنى وقد بقى منها حتى اليوم «ضريح همايون» ، وبعض قصوره والمسجد الجامع) الذى حاكى به فى تصميمه البيت الحرام ، ثم حصن أكرا ٠

ومما يذكر فى هذا الصدد أن «أكبر» لم يغفل فى عهده عن مراقبة أسعار مواد البناء حرصاً منه على تيسير الحياة لشعبه ، ومن أشهر العمائر المغولية (تاج محل) أنظر الشكل رقم (١٠) ، ذلك المثوى البديع الذى شيده «شاهجهان لزوجته» «أرجمند باتو ممتاز محل» وكان مثالاً على الروعة فى البناء حتى رجح بعض المؤرخين خطأ، إستعانة شاهجهان فى إقامته بالفنانين الإيطاليين ومن الثابت أن هذا البناء الذى يعد بحق من روائع الفن المعمارى ، هو فى تصميمه وتنفيذه إسلامى خالص ،وقد إستغرق بناؤه خمسة عشر عاماً، وإشتغل فيه ٢٠،٠٠٠ عامل .

مدينة دلهى الجديدة :

ومن منشآت شاهجهان الخالدة مدينة دلهى الجديدة ، التى عرفت فى عصره بإسم «شاهجهانا باد» والتى خططها على أحسن نمط فى عصره ، وأقام بها عدة قصور فخمة له ولأمرائه .

ونالت أكرا بدورها نصيباً موفوراً من عناية السلطان ، وقلد الأمراء المسلمون فى مختلف الإمارات الهندية طراز العمارة المغولية ٠

قصر تاج محل

شكل (١٠)

النقش :

كان طبيعياً أن يستتبع شغف سلاطين الدولة المغولية بالعمارة شغفهم بفن النقش والعناية به ، ومن الجدير بالذكر أن «أكبر» إعتبر أن التصوير نوعا من العبادة ، وأن للفنان فيما يبدو طريقته الخاصة للإقرار بوحدانية الخالق المبدع فهو حين يصور الكائنات وينقش أطرافها وملامحها على لوحته لابد وأن ينصرف بذهنه إلى التفكير فى إبداع خالقها الذى نفخ فيها بما يعجز هو عن تصويره وإبرازه وكان يقيم ببلاطه معرضا للنقوش فى كل أسبوع ، ويكافىء المجيدين من أصحابها تشجيعاً لهم بل إنه ليستهوى نوابغ النقاشين من خارج الهند بالمنح والعطايا ليفدوا إليه .

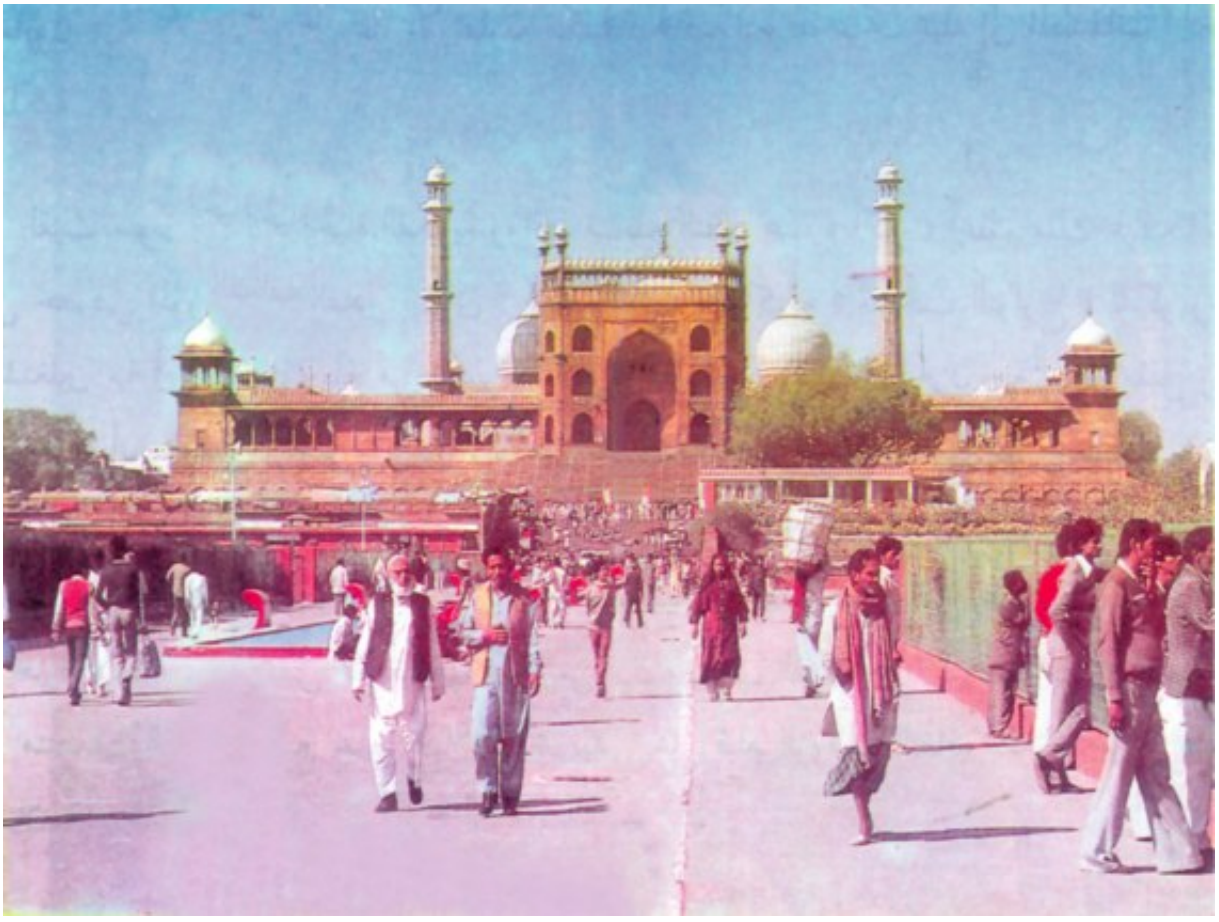

صورة مسجد اكبر

شكل (١١)

ثالثا : الحركة الفكرية :

عنى سلاطين الدولة المغولية عناية كبيرة بالعمل على ازدهار الحركة الفكرية فى الهند ، وكان منهم من أسهم بقلمه فيها وأخرج للناس كتباً قيمة ، فمن ذلك السيرة الفذة التى كتبها « بابر » عن نفسه فبينت إلمامه بالتاريخ وتقويم البلدان ، وكثير من العلوم العقلية والنقلية ، وتمكنه من الآداب – العربية والفارسية والتركية ، كذلك ألفت إبنته **كلبدن بيكيم** (هما يوننامة) الذى يعد مرجعاً هاماً فى تاريخ ثانى سلاطين المغول ٠ وشغف غيرها بالآداب من نساء البيت المغولى وكان «همايون» يحرص فى أسفاره على ألا تفارقه مكتبته الخاصة ، وقد عرف بميله إلى المصنفات الجغرافية والفلكية ٠

لقيت سوق الثقافة والحياة الفكرية رواجاً منقطع النظير عند «أكبر» أعظم ملك عرفته الهند ، وفى عصر «أورنكزيب» نجد أن أشهر ما كتب هو الموسوعة الفقهية المعروفة بالفتاوى الهندية أو العالمركية ، التى عهد بتأليفها إلى فريق من خيرة علمائه ،

ولم يمض على تأليفها أكثر من قرن ونصف القرن حتى طبعت فى القاهرة ونشرت قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادى مما يدل على قيام الروابط الثقافية الوثيقة بين الشعوب الإسلامية برغم بعد الشقة بينها ٠

اللغة الأوردية :

كان من مظاهر التجاوب بين الثقافتين الهندية والإسلامية تطور اللغة الأوردية التى تعد مزيجاً من لغات الحاكمين والمحكومين أى من الفارسية أساساً وما تسرب إليها من ألفاظ عربية كثيرة ومصطلحات اللهجات المحلية الهندية ٠ بدأت ألفاظ كثيرة من لغات الفاتحين تتسرب إلى لهجات الهند منذ أن غزا «محمود الغزنوى» هذه البلاد وإستقر خلفاؤه من بعده فيها .

كما غدت ألفاظ وعبارات هندية بدورها تجرى على لسان المسلمين فى الهند وجاء سلاطين المغول يجيزون للهنادكة تقلد المناصب ويعنون بالنهوض بالآداب الفارسية والسنسكريتية (الهندية القديمة) فازداد تقارب اللغتين من بعضهما واختلاطهما مما يترتب عليه ظهور لهجة ثالثة فى عهد «شاهجهان» فى القرن السابع عشر الميلادى عرفت باسم «زبان أردو» أى لغة سوق المعسكر بدلهى وبقيت هذه اللغة الجديدة تسهم فى النشاط الأدبى بنصيب محدود ٠ وكانت الأوردية هى لسان الزعماء المسلمين وهى اليوم لغة باكستان الأولى ومن أكثر اللغات تداولاً بجمهورية الهند ٠

رابعا : المجتمع المغولى فى الهند:

لم يمدنا مؤرخو الهند بمعلومات وافرة عن شعوب هذه البلاد ، وإنما إقتصرت كتاباتهم على الحكام وأعمالهم وفتوحاتهم والمجتمع المغولى كان مجتمعاً إقطاعياً ،

يتجلى فى بلاط السلطان ضروب الأبهة والعظمة ، ومنه تشع مظاهر المدنية ، وفيه تروج أنواع المعارف وفى كنفه يعيش رجال العلوم والآداب والفنون وكان الأمراء يحذون حذو سلطانهم فى البذخ والترف والإسراف

وكان أوسط الناس وأصحاب الحرف والصناعات يعيشون فى الغالب عيشة تتراوح بين الميسرة والمعسرة – أما أبناء الطبقات الدنيا وأصحاب الحرف البسيطة ومعهم خدم الأمراء والحكام وأجراؤهم فكانوا فى شظف من العيش ولا ينالون إلا وجبات غذائية قليلة ، وأجور ضئيلة ٠

وكانت طبقات الشعب ومن بينها الزراع وأجراء الأرض أتعس الناس حظاً وأشدهم بؤساً وقد حرص «أكبر» وأولاده على العناية بأمر هذه الطبقات والعمل على تحسين أحوالها ومد يد العون لها عند حدوث المجاعات والقحط ٠

ثالثاً: إنتشار الإسلام فى غرب أفريقيا:

هى بلاد السودان كما عناها العرب، أو هى بلاد السودان الأوسط والغربى التى تحدها بحيرة تشاد من الشرق والمحيط الأطلسى من الغرب.

إنتشر الإسلام فى هذه البلاد منذ القرن الأول الهجرى عن طريق التجارة والمصاهرة وغيرها من خلال قبائل الطوارق أو الملثمين وهم الذين نقلوا الإسلام إلى هذه الجهات وكانوا العامل الأساسى فى تحديد ثقافته. انظر الخريطة رقم (١٢).

ـ دور المرابطين فى نشر الإسلام

تزعم هذه الحركة الفقيه «عبدالله بن يس» الذى بدأ حركته من مصب نهر السنغال مستغلا الأعداد الغفيرة التى إتبعته والتى أطلق عليهم إسم المرابطين، فإتجه بهم إلى غرب أفريقيا عند منحنى نهر النيجر ثم إلى الشمال وتمكن قائد المرابطين أبوبكر بن عمر من الإستيلاء على الجزء الأكبر من غانا فأسلم ملوك غانا وتحول الشعب إلى الإسلام.

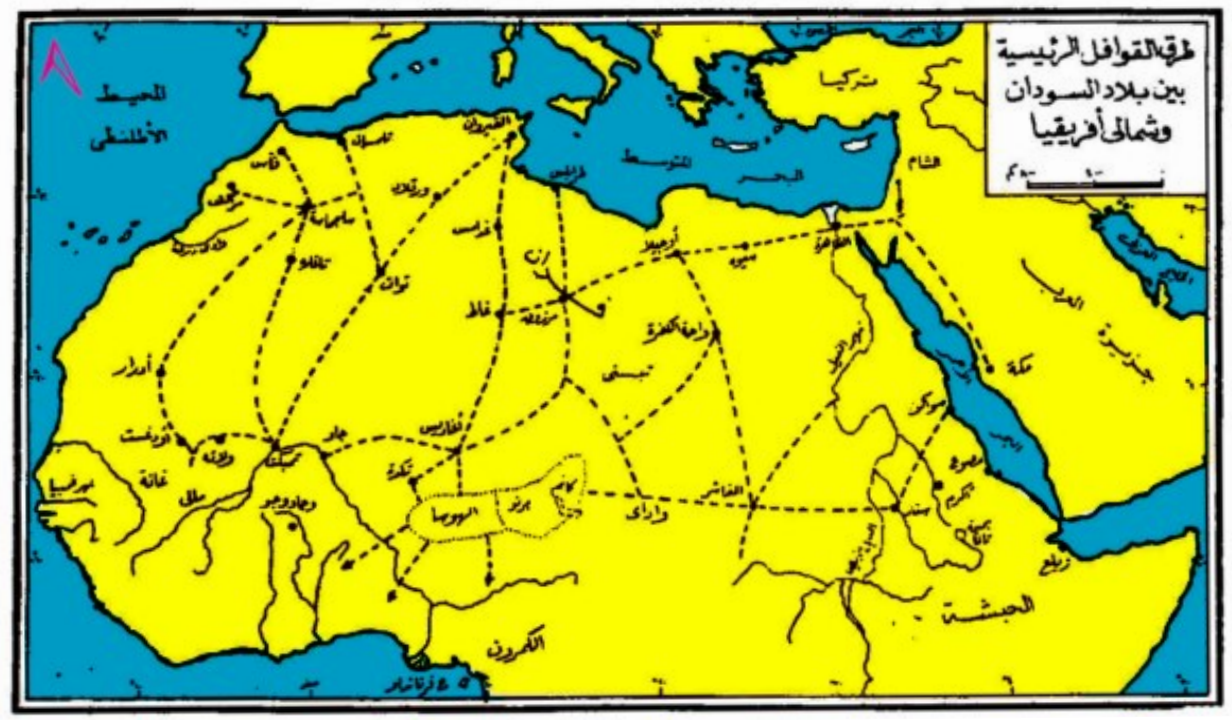

شكل رقم (١٢) طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمال أفريقيا

ـ عوامل إنتشار الإسلام فى غرب أفريقيا:

١- السلم والإقناع كانا السبب الأساسى لنشر الدعوة الإسلامية فى غرب أفريقيا

٢- مثابرة الدعاة ونشاطهم وأسلوبهم فى التقرب للحكام وحثهم على إعتناق الدين الإسلامي.

٣- بالمصاهرة والإندماج تمكن التجار والدعاة من جذب الأمراء ورؤساء القبائل الأفريقية للإسلام.

٤- تمتع الأفريقيين بكامل حريتهم وسيادتهم على أرضهم جعلهم يقبلون على الإسلام طواعية فزاد بالإسلام نفوذهم وسيطرتهم.

٥- شعور الأفارقة بالأخوة والمساواة مع التجار والدعاة المسلمين فظلت الجماعات الإسلامية محتفظة بكيانها، وأسبغت العقيدة الإسلامية على معتنقيها إحتراما وتقديرا بين المواطنين.

أسئلة الفصل الرابع

(١) ما سبب تدفق المسلمين على الساحل الغربى من بلاد الهند الجنوبية؟

(٢) ما أهم الطرق التجارية التى كانت تمر بها التجارة فى العصور الوسطي؟

(٣) كيف ومتى انتشر الإسلام فى جزيرة سومطرة؟

(٤) اشتهر مسلمو الملايو بالتسامح الديني، وضح ذلك.

(٥) تحدث عن جهود عبدالله بن يس ودوره فى نشر الإسلام فى أفريقيا.

(٦) ما عوامل انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا؟

(٧) ما النتائج التى ترتبت علي.....؟

أ) النشاط التجارى فى الدولة الإسلامية.

ب) استقرار التجار المسلمين فى موانئ الشرق الأقصي.

(٨) دلل على صحة العبارات التالية تاريخيا:

أ) كان السلم والإقناع هما الطابع الأساسى لنشر الإسلام.

ب) كان للمرابطين دور أساسى فى نشر الإسلام فى غرب أفريقيا.

(٩) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة مع ذكر السبب فى الحالتين:

أ) حرص السلطان همايون على اصطحاب مكتبته الخاصة فى أسفاره ( )

ب) كانت مدينة دلهى أحد منشآت شاهجان الخالدة ( )

جـ) يعد حكام الدولة المغولية فى الهند من أكثر ملوك عصرهم تسامحاً ( )

د) أول من أفصح عن التسامح المطلق فى الهند هو السلطان بابر ( )

هـ) لم يهتم سلاطين الدولة المغولية بالعمل على ازدهار الحركة الفكرية فى الهند ( )

١٠) بم تفسر..؟

أ) تميز مجتمع المغول بأنه مجتمعًا اقطاعيًا

ب) اعتبار السلطان (أكبر) أن التصوير نوعاً من أنواع العبادة.

الفصل الخامس

الأهداف

في نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:

- يعطى تعريفًا صحيحًا لكل من المفاهيم التالية: «كتاتيب - مغازى - علم الكلام - أيام العرب».
- يتنبأ بما يمكن أن يكون عليه حال المسلمين لو لم يهتموا بالعلم والتعليم.
- يعدد مراكز نقل العلم فى الدولة الإسلامية.
- يشرح المراحل التى مرت بها عملية النقل والترجمة فى الدولة الإسلامية.
- يفسر أسباب الاهتمام بجمع القرآن الكريم والحديث الشريف.
- يستنتج العوامل التى ساعدت على التقدم العلمى الإسلامي.
- يلخص النتائج المترتبة على التأثير المتبادل بين المسلمين والأوروبيين فى مجالات العلوم والفنون.
- يعتز بانتمائه للحضارة الإسلامية.
- يوضح أهمية اللجوء إلى الاجتهاد والقياس عند الحاجة.
- يحدد معابر الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبى على خريطة صماء.
- يفسر أسباب ابتعاد الفنان المسلم عن محاكاة الطبيعة.

القضايا المتضمنة

- حقوق الإنسان
- السياحة وتنمية الوعى السياحي
- حقوق المرأة
- العولمة

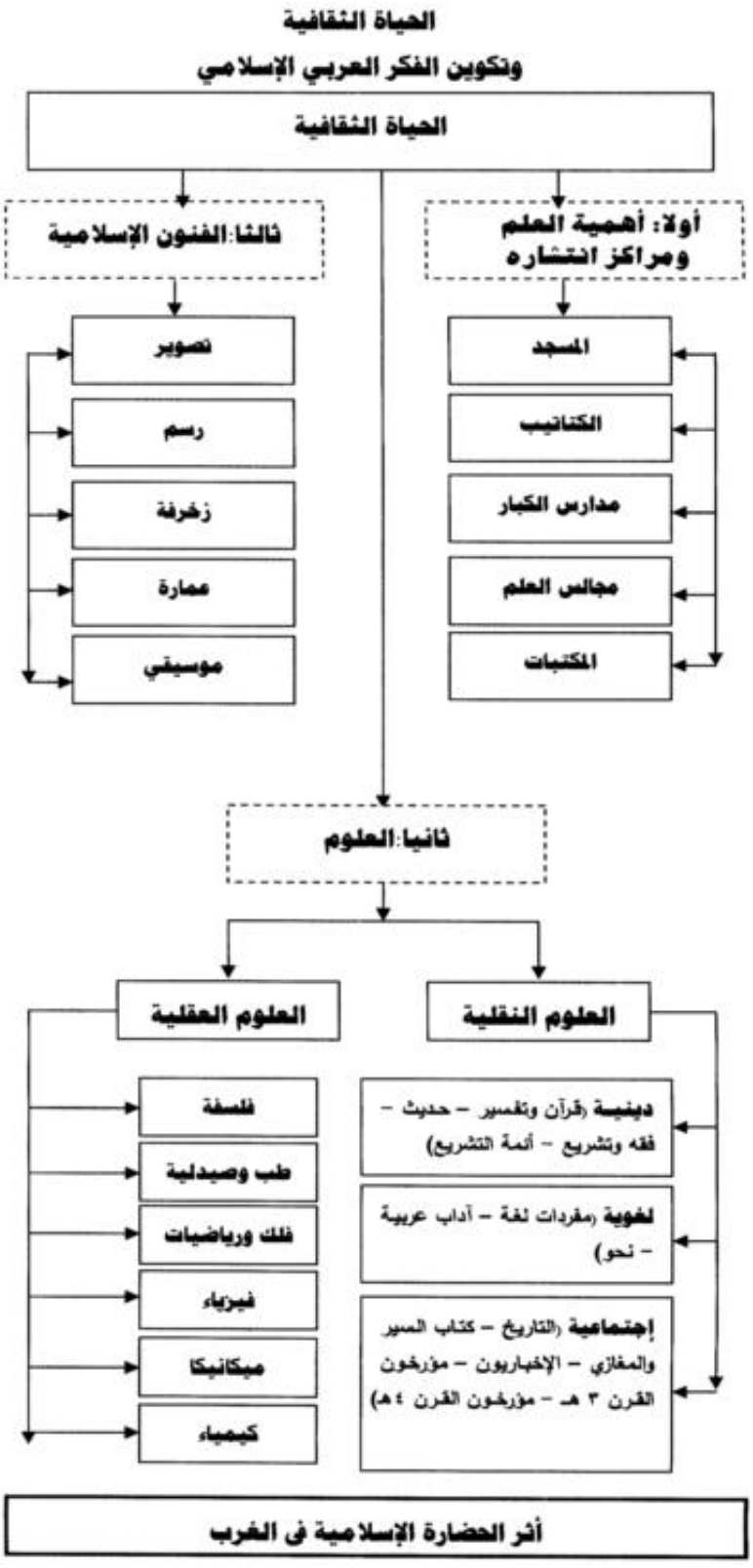

أولا أهمية العلم فى الإسلام وانتشاره

أ- أهمية العلم فى الإسلام

دعا الإسلام إلى العلم، وحض القرآن الكريم على ضرورة التعليم، وكانت آيات أول سورة وهى سورة «العلق» تدعو إلى ذلك

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥

(سورة العلق من الآية رقم ١:٥)

كذلك حضت آيات أخرى على العلم والتعليم وأعلت مكانة المتعلمين فى المجتمع الإسلامي، وحثت بعض أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام على طلب العلم وجعلته فريضة على كل مسلم

ومن المعروف أن الإسلام جاء وفى قريش سبعة عشر رجلا فقط يعرفون القراءة والكتابة لذلك جعل رسول الله ﷺ فى غزوة بدر فداء بعض أسرى المشركين نظير أن يعلم الأسير عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة

ولقد بدأت حركة التعليم والتعلم فى الدولة الإسلامية منذ قيامها، وتطورت مراكز النقل فيه من المسجد إلى الكتاتيب ثم المدارس والجامعات، وقد خرجت هذه المراكز جماعة من أعاظم الرجال العلماء، الذين علموا وخرجوا من تحت أيديهم أجيالا من الفقهاء والعلماء وكبار المفكرين

ولقد ظهر من علماء مكة رعيل الصحابة الأول من أمثال عبدالله بن العباس وفى المدينة تعلم الصحابة علوم الدين على يد رسول الله ﷺ وتخرجوا من مدرسته وكان أشهر من تخرج من هذه المدرسة من الصحابة على بن أبى طالب، زيد بن ثابت، عبدالله بن عمر، عبدالله بن مسعود، وغيرهم وقد ارتحل بعض هؤلاء العلماء وغيرهم إلى الأمصار لتفقيه الناس أمور دينهم، وعقدوا مجالسهم العلمية فى مسجد رسول الله ﷺ. وفى باقى المساجد، فكانوا حين إستقروا فى الأمصار أساس الحركة العلمية الزاهرة فيها

وكانت عناية المسلمين فى صدر الإسلام مقصورة على العلوم الدينية والشرعية لما كان لتعاليم الدين من أولوية آنذاك، ومع قيام الدولة الأموية إهتم المسلمون إلى جانب العلوم الدينية بالعلوم الأخري، وقد بلغت الحركة العلمية ذروتها فى المجالين النقلى والعقلى فى العصر العباسى الأول.

ب ـ مراكز نقل العلم فى الدولة الإسلامية

١ ـ المسجد

المسجد هو المدرسة الأولى فى الإسلام وقد عقدت فيه حلقات الدرس والتدريس إلى جانب كونه دار للعبادة ومقر لإدارة الدولة وتنظيم أمورها، وكان الرسول ﷺ المعلم الأول فى الإسلام يتخذ مسجده بالمدينة مقرا للتدريس والتعليم، وظل مسجد الرسول ﷺ بالمدينة مقرا للتعليم على عهد الخلفاء الراشدين، وكان المعلم يجلس فى جزء من المسجد ويجلس من حوله طلاب العلم فى حلقات، وكان طالب العلم يحضر حلقات أستاذه وشيخه، وعندما يستكمل محاضرات شيخه وينجح فيها يجيزه الشيخ ويسمح له بتعليم الفرع الذى درسه على يديه وأتقنه فى حلقة مستقلة يقوم بالتدريس فيها وكان العلماء الذين يدرسون فى المساجد لا يتقاضون أجرا على تدريسهم، وإنما كانوا يبتغون الأجر من الله تعالي، وكان طلاب العلم يفدون إلى حلقات درسهم من البلاد البعيدة تاركين أوطانهم وأهليهم ابتغاء الدرس والتحصيل

٢ ـ الكتاتيب

الكتاتيب، ومفردها كتاب، وقد أنشئت لتعليم مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ علم الحساب ولتحفيظ القرآن الكريم وكان الكتاب أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودا فى العالم الإسلامى بعد المسجد، وكان بداية ظهور الكتاتيب فى العهد الأموي، وكان الطالب الذى يتعلم القراءة والكتابة ومبادئ علم الحساب ويحفظ القرآن الكريم يجاز من شيخه ويسمى «حافظا»

ولقد استمرت هذه الكتاتيب الإسلامية قائمة تؤدى دورها التعليمى على أحسن وجه فى بلدان العالم الإسلامى لوقت طويل وحتى العصر الحديث، ولكن مما يدعو للأسف أن نظام الكتاتيب قد ألغى فى كثير من هذه البلاد

وفى العصر الأموي، ظهر «المؤدب الخاص» فى البيوت، وكانت الأسر الغنية التى لم ترض لأبنائها مخالطة أولاد العامة فى الكتاتيب تكلف أحد المعلمين أو الشيوخ بتأديب أولادها فى غرفة من غرف البيت مقابل أجر معين كل شهر، وقد قلدت هذه الأسر الخلفاء فى ذلك

٣ ـ مدارس الكبار

وهى مدارس ينتقل إليها طلاب العلم، بعد إكمال دراستهم فى الكتاتيب ليتخصصوا فى نوع من أنواع العلوم، وتأتى المدرسة النظامية التى أسسها الوزير **نظام الملك الطوسى** وزير السلطان «السلجوقى الب أرسلان» سنة ٤٥٩ هـ فى بغداد كأشهر مدرسة أسست على نظام نموذجى نسجت على منواله المدارس

فى مدن العالم الإسلامى الرئيسية.

وكانت تدرس فى هذه المدارس علوم القرآن والحديث وعلوم اللغة والتاريخ والرياضيات والكيمياء، وعلى الطالب أن يتخصص فى فرع منها، وكانت هذه المدارس تزود بكل احتياجاتها من مدرسين وكتب وأدوات علمية، وكان يعطى لكل طالب ملحق بها راتب شهرى يكفى احتياجاته ويجعله متفرغا للعلم

ولقد شاع تأسيس مثل هذه المدارس فى جميع الحواضر الإسلامية وكان نصيب مصر من هذه المدارس كبيرا، فقد بلغ عدد مدارس القاهرة وحدها زمن الفاطميين عشرين مدرسة وأسس الخليفة **الحاكم** بأمر الله بها دار العلم، التى عرفت «بدار الحكمة»، قرر لها المدرسين والمعيدين وألحق بها مكتبة كبيرة امتلأت بالمؤلفات النادرة، ولقد كانت هذه الدار تقليدا للدار التى أنشأها الخليفة العباسى **المأمون** فى بغداد واهتم سلاطين الأيوبيين بإنشاء هذه المدارس فى مصر والشام، وقيل أن عدد مدارسهم فى مصر قد وصل إلى نحو خمس وعشرين مدرسة، كما اهتم الخلفاء الأمويون فى الأندلس بإنشاء هذه المدارس فى مدنها الكبري، وقد بلغ عدد هذه المدارس فى قرطبة وحدها، فى منتصف القرن الرابع الهجرى ثمانين مدرسة

٤ـ مجالس العلم

وإلى جانب الكتاتيب والمدارس النظامية، كانت هنالك مجالس العلم الخاصة التى كانت تساهم فى نشر العلم والمعرفة فى المجتمع الإسلامي، وكانت هذه المجالس تعقد فى قصور الخلفاء والوزراء والأمراء وولاة الأقاليم، وكان يحضرها كبار العلماء وكان هؤلاء العلماء فى هذه المجالس يقيمون المناظرات والمساجلات وكانت تتم فى هذه المجالس مناقشة القضايا المختلفة ويدور النقاش فيها بحرية تامة، وقد كانت هذه المجالس ميدانا لتنافس العلماء فى التقرب إلى الخلفاء وأولى الأمر وإحراز المكانة عندهم، وفى شغل المناصب الهامة فى الدولة أو العمل كمربيين ومعلمين لأبناء الخلفاء

٥ـ المكتبات

ساعد إنشاء المكتبات على تقدم الحركة العلمية واتساع خطاها فى الدولة الإسلامية، فقد أدت هذه المكتبات خدمات جليلة للباحثين وزودتهم بالمصادر اللازمة لاستخلاص مادة بحوثهم، كذلك أدت إلى تقدم حركة النقل والترجمة التى شهدتها الدولة الإسلامية وبخاصة فى العصر العباسى الأول وعهد الخليفة المأمون بالذات

وقد أنشئت المكتبات أول الأمر فى المساجد، ثم ألحقت بها، لكن إنشاء المكتبات المستقلة لم يظهر إلا فى العصر العباسى الأول، واستمر بعد ذلك طوال العصور الإسلامية، وقد احتوت هذه المكتبات على خزائن كبيرة لحفظ الكتب، كما احتوت على قاعات مخصصة للإطلاع، إضافة إلى حجرات خاصة

للنسخ والترجمة.

وتعد مكتبة بيت الحكمة (خزانة الحكمة) التى أسسها الرشيد وأكملها **المأمون** من أشهر مكتبات بغداد، كذلك كانت مكتبة المدرسة النظامية التى ألحقت بهذه المدرسة من مكتبات بغداد الشهيرة واشتهرت كل من بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة بمكتباتها العامة التى حوت الآلاف من الكتب المخطوطة القيمة، ومن أشهر مكتبات القاهرة خزانة الحكمة.

ولقد ازدهرت المكتبات وازداد عددها فى **الأندلس**، وكان بها فى أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادي، نحو سبعين مكتبة عامة حوت أكثر من مليون مجلد.

وإضافة للمكتبات العامة، فقد كانت هناك المكتبات الخاصة التى يمتلكها الخلفاء والوزراء والعلماء وأعيان التجار الذين شغفوا بالعلم وجمع الكتب والاطلاع، وقد أنشأوا هذه المكتبات لأنفسهم ليكون ما فيها من الكتب فى متناول أيديهم ومتناول من يطلبها من الدارسين تيسيراً لأمورهم فى مواصلة مسيرة البحث العلمى فى العلوم النقلية والعلوم العقلية.

ثانياً: أنواع العلوم

أ) العلوم النقلية:

وهى تشمل العلوم الدينية والعلوم اللغوية، والتاريخ.

العلوم الدينية:

١- القرآن وتفسيره:

نزل القرآن الكريم على رسول الله ـ ﷺ ـ فى نحو ثلاثة وعشرين عاماً، وتوقف نزول الوحى بوفاة الرسول ـ ﷺ ـ وترك القرآن غير مجموع فى مصحف واحد، بل كان فى صحاف متفرقة كتبها كتاب الوحى للرسول ـ ﷺ ـ، وفى صدور الحفاظ من الصحابة.

ولقد تم تجميع صحف القرآن فى عهد الصديق أبى بكر، وانتقلت هذه الصحف بعد موت أبى بكر إلى عمر بن الخطاب، ثم انتقلت إلى السيدة حفصة بنت عمر بعد وفاة أبيها، ولما تولى عثمان بن عفان الخلافة أخذ الصحف من حفصة وعهد إلى جمع من الصحابة بتجميعها فى مصحف واحد، وهم : زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص. وبعد أن أتم جمع المصحف الواحد، كتبت منه عدة نسخ ووزعت على الأمصار واحرق ما دون ذلك، وعرف هذا المصحف بمصحف عثمان الذى هو بين أيدينا اليوم بعد أن حفظه الله تعالى فى قوله:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ (١)

وتألفت سور القرآن من ١١٤ سورة، ٨٦ منها مكية، و٢٨ مدنية، وعدد آياته ٦٢٣٦ آية، ولم يكن القرآن الكريم منقوطا ولا مشكلاً. وقد تم تنقيطه على يد **نصر بن عاصم الليثى** بأمر والى العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، وتم تشكيله على يد عالم اللغة **أبى الأسود الدؤلى** بتكليف من زياد بن أبى سفيان فى عهد خلافة معاوية بن أبى سفيان.

ولقد تشرفت اللغة العربية بنزول القرآن بها، فألفاظه عربية إلا ألفاظا قليلة أخذت من اللغات الأخرى وعربت وأساليبه هى أساليب العرب فى كلامهم، فيه الحقيقة والمجاز والكناية والجناس وغير ذلك على نمط العرب فى حقيقتهم ومجازهم، وهذا أمر طبيعى أن ينزل القرآن بلسان القوم الذين بعث الرسول ـ ﷺ ـ من بينهم ليفهموه، وقد قال تعالي:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ (٢)

ومع هذا لم يكن كل العرب على مستوى واحد من الكفاءة العقلية والمحصلة الثقافية ليفهموا كل الكتاب لمجرد أنه نزل بلغتهم لأن فهم القرآن لا يتطلب فقط المعرفة بالعربية والتحدث بها، بل يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق فى رقيها ودرجة الكتاب فى رقيه، وفوق ذلك ففى القرآن آيات كثيرة لا يكفى لتفهمها معرفة العربية وألفاظها فحسب، بل يحتاج تفهمها إلى معرفة بعلوم أخرى وثقافة عريضة.

وكان من البديهى أن يتفاوت الصحابة، رضوان الله عليهم، فى فهم القرآن ومعرفة معانيه، وهم على العموم كانوا أقدر الناس على تفاوتهم فى التعمق فى معرفة الأدب الجاهلى وتاريخ أنبياء الأمم السابقة، كذلك من الصحابة من كان يلازم النبى أكثر من غيره فتكون مشاهدة أسباب نزول الآيات أوضح له من غيره. وأكثر عوناً له على فهم الكلام المنزل من عند الله على الرسول ـ ﷺ .

لهذه الأسباب ولغيرها جاء الاختلاف بين الصحابة فى فهم القرآن وتفسيره، وبالقطع كان الاختلاف أشد عند التابعين الذين تتلمذوا على يد الصحابة، وعند أجيال تابعى التابعين.

ولقد أنقسم تفسير القرآن إلى قسمين: قسم عرف بالتفسير المنقول والقسم الثانى عرف بتفسير الاجتهاد أو الرأي، ويعتمد النوع الأول من التفسير على ما ورد بالنص نقلاً عن رسول الله ـ ﷺ ـ وأحاديثه الشريفة، وبمرور الزمن تضخم هذا التفسير المنقول فدخل فيه أيضاً ما ورد على لسان الصحابة والتابعين. أما النوع الثانى من التفسير، وهو تفسير الرأى أو الاجتهاد، فهو يعتمد على اختلاف التفسير

(١) سورة الحجر: آية (٩)
(٢) سورة إبراهيم: آية (٤)

فى معانى الآيات، وفى معانى الألفاظ وعدم التسليم بالتفسير فقط بظاهر اللفظ.

ولذلك نرى الصحابة ينقسمون بين هذين الفريقين، وكذلك التابعين من بعدهم فنجد فريقاً يتورع أن يقول فى القرآن شيئاً برأيه إذا سئل، مثل سعيد بن المسيب وابن سيرين، وفريق آخرى يرى حل ذلك واستباحته بل يرى أن كتمان ما وصل إليه اجتهاده كتمان للعلم، مثل: عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن العباس، وهذا الاجتهاد الذى سبب الاختلاف بين الصحابة والتابعين فى تفسيرهم لألفاظ ومعانى القرآن اختلافاً واضحا نلمسه فى معظم كتب التفسير.

ومن أشهر علماء التفسير من الصحابة: على بن أبى طالب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود.

٢- علم الحديث (السنة النبوية)

يراد بالحديث أو السنة، كل ما ورد عن رسول الله ـ ﷺ ـ من قول أو فعل أو تقرير، على لسان التابعين نقلاً عن الصحابة، وللحديث قيمة كبرى فى الإسلام إذ تلى مرتبه القرآن، وهو والقرآن الدعامتان الأساسيتان للإسلام، ذلك لأن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يكن ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى والوحى جزء سطر منه فى القرآن وجزء لم يسطر وهو ما حدث به رسول الله ـ ﷺ ـ وكثير من آيات القرآن مجملة أو مطلقة أو عامة فجاء قول رسول الله ـ ﷺ ـ أو عمله فبينها أو قيدها أو خصصها. كذلك كانت تعرض للرسول ﷺ حوادث ومواقف كان عليه أن يفصل ويقضى فيها. وكان يتعرض لأسئلة واستفسارات كان عليه أن يجيب عنها، وكان يواجه أموراً تتعلق بالحرب أو السلم كان عليه أن يبت فيها. فكان عليه السلام فى أى من هذه الأمور ينتظر نزول الوحي، فإذا أنزل أخذ بحكم الله دونما تردد، وإذا لم ينزل تصرف برأيه أو استشار صحابته، فإذا أنزل بعد ذلك فى الأمر قرآن يصحح له المسار التزم به، وإن لم ينزل كان يفهم أن الله ارتضى بتصرفه وبحكمه.

ومن هنا، كانت معرفة أصول الإسلام وأحكامه لا تتم إلا بدراسة الحديث مع دراسة القرآن، ومن هنا أيضاً كانت السنة النبوية ضرورة ملزمة للمسلم ضرورة القرآن.

وقد قال فى ذلك الرسول ﷺ ـ

«اثنان ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى عضوا عليها بالنواجز» [1]
صدق رسول الله ﷺ

وفى القرن الثانى الهجري، بدأت جماعة من علماء الحديث فى الأمصار الإسلامية المختلفة عملية جمع الحديث النبوي، فجمع كل منهم الأحاديث التى توصل إليها وصحت عنده، وشهد القرن الثالث الهجرى نشاطاً كبيراً، فاتسعت حركة الجمع للأحاديث النبوية مع التعمق والتدقيق فيها للتمييز

(١) حديث شريف

بين الصحيح والضعيف منها واستبعاد الأحاديث الموضوعة والمدسوسة على الرسول ﷺ ونتج عن هذا ظهور أعظم وأدق كتب الحديث النبوى وهى صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم، وكتب السنن الأربعة لأبى داود، والترمذى والنسائي، وابن ماجة، وهى أشهر كتب الحديث المعتمدة حتى الآن، كذلك أهتم علماء الحديث بجمع الأحاديث الموضوعة فى كتب خاصة بها مثل كتاب «اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة» للإمام السيوطي.

وبفضل هذه الجهود أصبح علم الحديث نبعاً رائقا للتشريع الإسلامى فى العبادات والمعاملات والمسائل المدنية، وأساساً قوياً لعلوم أخرى كعلم التاريخ وعلم التفسير.

٣- الفقة والتشريع:

واجه المسلمون بعد وفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحى مسائل كثيرة فى كل شئون الحياة، وكانت تحتاج إلى تشريع لم يكونوا فى حاجة لها وهم فى جزيرة العرب، بعد أن اتسعت الدولة وكثرت مشاكلها وتشعبت أمورها وتعددت أجناسها. لذلك توصل علماء المسلمين إلى أصل آخر من أصول التشريع، وهو التشريع بالاجتهاد والرأى وإعمال القياس.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب أظهر الصحابة فى استعمال الرأي، وذلك لاتساع الدولة فى عهده، ومواجهته لمسائل جديدة فى الدولة فى أمور السياسة والاقتصاد والعمران والمعاملات. فكان عمر يجتهد برأية، حيث لا نص من كتاب ولا سنة مسترشداً بما ورد فيهما.

كذلك كان يأخذ رأى صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ وخاصة على بن أبى طالب، ويعتبر عمر بذلك، مؤسساً «لمدرسة الرأى والاجتهاد» فى التشريع، ولقد انتشر أتباع هذه المدرسة وازدادوا فى القرنين الأول والثانى للهجرة، وكان كثيرمن التابعين وتابعى التابعين من تلاميذ هذه المدرسة التى كانت **العراق** أكبر موطن لها.

ولقد اعتمد علماء هذه المدرسة اعتماداً كبيراً على الرأى والاجتهاد والقياس، وفرعوا الفروع واستنبطوا الأحكام، وقد حدوا من التوسع فى الاعتماد على الحديث، ووضعوا شروطاً مشددة على الأخذ بها،. وقد تصدت لهذه المدرسة مدرسة مضادة وهى «مدرسة الحديث» التى عرفت بمدرسة أهل السنة، الذين اعتمدوا على نص الحديث اعتماداً كلياً وتساهلوا فى شروطه وقدموه على الرأى والاجتهاد ولم يعملوا الرأى فى التشريع وجانبوا الاجتهاد وكان **الحجاز** أكبر موطن لهذه المدرسة.

٤- أئمة التشريع الأربعة:

الرسول - ﷺ - هو مشرع الأمة الإسلامية، ومن بعده الخلفاء الراشدين، ولقد عين عمر بن الخطاب

القضاة فى الأمصار ليطبقوا التشريع وجعل إلى جانبهم جملة من الصحابة والتابعين يستفتونهم فيما يعرض لهم فيفتون.. ووجد فى عهد الدولة الأموية أئمة التشريع الذى كان لهم اجتهادهم الخاص مثل الأوزاعي. وفى أواخر عهد هذه الدولة ظهر إمامان من ائمة التشريع الأربعة عند المسلمين، وهما الإمام أبو حنيفة النعمان فى العراق والإمام مالك بن أنس فى المدينة.

والإمام أبو حنيفة «توفى سنة ١٥٠ هـ ببغداد» يعتبر **إمام أهل الراي**، وقد أفتى فيما لم يقع وما يستبعد وقوعه، وكانت طريقته فى الإفتاء تعتمد على القرآن والحديث المعتمد الذى كان يتشدد فيه بالنظر إلى متن الحديث وفحصه فحصا جيدا، ثم إعمال الراى والاجتهاد والقياس، وقد نسبت إلى هذا الإمام كتب كثيرة اشهرها «كتاب الفقه الكبير».

واشتهر **الإمام مالك بن أنس** «توفى سنة ١٧٩ هـ» بجمع الحديث، ويعتبر **إمام أهل الحديث**، وكان مذهبه يعتمد على الحديث تماما، ولم يعمل بالرأى مخالفا فى ذلك منهج الإمام أبو حنيفة، وكان يحتج بعمل أهل المدينة ويعتمد عليهم فى الأحاديث لإدراكه أنهم حفظة الحديث عن الرسول - ﷺ - الذى عاش بينهم، وألف الإمام مالك كتاب الموطأ «المنقح» ورتبه على أبواب الفقه، وكان غرض الإمام من وضعه الإتيان بالتشريع مستدلا عليه بالحديث، وقد أورد هذا الكتاب خمس مائة حديث خلصت عنده من اصل عشرة آلاف حديث.

وتلى ظهور هذين الإمامين ظهور إمامين آخرين من الأئمة الأربعة المعتمدين، وهما الإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام الشافعى «توفى ودفن بمصر سنة ٢٠٤ هـ» كان تلميذا للإمام مالك تتلمذ على يديه وحفظ عنه الموطأ، ثم أخذ فى الرحلة لتحصيل العلم، ونزل الكوفة ودرس فقه الإمام أبى حنيفة على يد تلاميذه هناك، ولذلك جاء مذهب الإمام الشافعى فى الفقه والتشريع وسطا بين مذهبى الإمام مالك والإمام أبى حنيفة، لا هو شديد التوسع فى الرأي، ولا هو المعتمد كلية على الحديث، ولقد حاول الإمام الشافعى فى مذهبه التقريب بين مذهبى الإمامين الجليلين وتضييق الشُقة بينهما. وللإمام الشافعى كتب كثيرة فى الفقه والتشريع أشهرها كتاب «الأم».

أما الإمام أحمد بن حنبل «توفى سنة ٢٤١ هـ» فكان على مدرسة الإمام مالك، ولذلك صار إمام أهل الحديث فى عهده، وكان ابن حنبل تلميذا للإمام الشافعى أخذ عنه وتأثر بمذهبه إلا أنه أنكر عليه أخذه بالراي. ولقد جمع ابن حنبل فقهه والأحاديث التى توصل إليها وثبتت صحتها عنده فى كتابه «المسند».

ولقد توزعت المذاهب الفقهية الأربعة فى العالم الإسلامى السني، وانتشر تشريع كل مذهب منها فى قطر أو فى عدد من الأقطار الإسلامية. فانتشر المذهب الحنفى فى العراق والشام ووسط آسيا. وانتشر المذهب الشافعى فى مصر وجنوب شرق آسيا، وانتشر المذهبان المالكى والحنبلى فى نجد والحجاز والسودان وبلاد المغرب والأندلس.

العلوم اللغوية :

١- مفردات اللغة :

اللغة العربية هى أرقى اللغات السامية وأغناها وأكثرها مرونة وسعة اشتقاق. وكانت هذه اللغة غنية جديرة بشرف نزول القرآن بها واستطاعتها على أن تعبر عما فيه من معان سامية رفيعة كذلك استطاعت هذه اللغة أن تكون أداة لنقل ما فى علوم الفرس والهنود والسريان واليونان. وقد استطاعت هذه اللغة، بسبب مرونتها، أن تحتوى ما فى اللغات الأخرى وتعربها بعد أن نجحت فى أن تصبح لغة ثقافية للشعوب التى دخلت الإسلام.

وفى العصر العباسى الأول، وهو العصر الذى شرع علماء اللغة فى جمع مفردات هذه اللغة ووضع أصول قواعدها، كان فى العالم الإسلامى لغتان عربيتان، الأولى - لغة الفصحي، وهى لغة الكتابة والأدب، والثانية - لغة عامية، وهى لغة المولدين، ومن أجل ذلك ارتحل العلماء الذين وقع على عاتقهم جمع مفردات هذه اللغة، إلى البادية وأخذوا عن سكانها أصولها، على أساس أن البادية لم تفسد لسانهم كما فسد لسان أهل الحضر نتيجة الاختلاط بغيرهم من غير العرب.

ولقد بذل هؤلاء العلماء الأول جهدا كبيرا فى محاولة تصحيح اللغة وإظهار الصحيح الفصيح منها وما هو موضوع وضعيف، وجاءت عملية تدوين اللغة بعد عملية التصحيح، وقد مرت هذه العملية بثلاث خطوات : الخطوة الأولى : وشملت تدوين مفردات اللغة بدون ترتيب وحسبما اتفقت وكما تيسر للعلماء سماعها. والخطوة الثانية : شملت جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد، وأظهر ذلك ما جاء فى كتب الأصمعي. والخطوة الثالثة : هى خطوة وضع المعاجم، وأول من وضع هذه المعاجم الخليل بن أحمد صاحب معجم «العين».

٢- الأدب العربى :

جاء جمع الأدب العربى مثل جمع اللغة، وفى غمار جمعها، ذلك لاختلاط الأدب باللغة. وكان نفس العلماء الذين تصدوا لجمع اللغة قد تصدوا لجمع الأدب من نفس المصدر من البادية.

وحين بدأ تصحيح الأدب وتدوينه فى العصر العباسى الأول جاء منهج العلماء الذين قصدوا لذلك، على منهج الاختيار، وبذلك وصلت إلينا مجموعة المختارات من الأدب العربي، ومن أشهر ما وصل إلينا من الكتب التى جمعت بين مختار الشعر والنثر من الأدب العربى كتاب «الكامل» للمبرد وكتاب «البيان والتبيين» للجاحظ، وكتاب «الأغاني» لأبى الفرج الأصفهاني.

ولقد شهد العصر العباسى الأول ظهور فحول الشعراء الذين اثروا الشعر العربى بأشعارهم أمثال

«أبو العتاهية ، وأبو تمام، والبحتري، وابن الرومي، وأبو نواس، وابن المعتز، ولقد جاء ارتقاء الشعر فى هذا العصر بسبب اختلاف صور الحياة وقيمة الأشياء آنذاك ن وكذلك بسبب تشجيع الخلفاء للعلماء عامة وللشعراء على وجه الخصوص، إضافة إلى تاثير الثقافة الأجنبية على الشعر العربي.

وكما ازدهر الشعر فى العصر العباسى الأول، ازدهر أيضا النثر، وظهر فى ذلك الوقت طائفة من كبار كتاب المسلمين الناثرين أمثال : ابن المقفع صاحب كتاب «كليلة ودمنة» الذى نقله عن الفارسية إلى العربية، والجاحظ، دائرة معارف زمانه، وصاحب كتاب «الحيوان والبخلاء»، و«ابن قتيبة»، صاحب كتاب «عيون الأخبار»، والمبرد صاحب «كتاب الكامل».

٣- علم النحو :

عنيت مدرسة البصرة بالنحو على يد الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه وغيرهم، كما عنيت مدرسة الكوفة أيضا بالنحو، وقد تمسك أصحابها بكل ما جاء به العرب من قواعد حتى ولو كان شاذا.

ولقد ظل الصراع قائما بين مدرستى البصرة والكوفة فى النحو، حتى تأسست مدينة بغداد «سنة ١٤٥ هـ» وهدأت الأحوال السياسية واستتب الأمن فى الدولة العباسية وأخذ الخلفاء يرغبون العلماء ويشجعونهم على سكنى بغداد ويدعونهم لتربية أولادهم فسارعوا بالذهاب إلى العاصمة الجديدة جريا وراء الشهرة وإحراز المكانة والثروة.

العلوم الاجتماعية والإنسانية :

الحضارة العربية الإسلامية حضارة إنسانية فى المقام الأول، ولذلك اهتمت بالإنسان فكريا وجسديا وروحيا واجتماعيا ومعيشيا لذلك كان طبيعيا أن تحتل العلوم الاجتماعية أو الإنسانية ركنا أساسيا فى النشاط الفكرى والعلمى الذى تميزت به هذه الحضارة ويأتى على رأس هذه العلوم علم التاريخ.

علم التاريخ :

التاريخ عند العرب علم يبحث عن وقائع الزمان من حيث توقيتها وموضوعه الإنسان والزمان، وهو على هذا المعنى قديم عندهم، إنه معرفة ساذجة من معارف العرب قبل الإسلام، ثم اكتمل مع الزمن، حتى أصبح عندهم علم عظيم الشأن.

وكان عرب الجاهلية، لغلبة الأمية عليهم، يتذاكرون أيامهم وأحداثهم ووقائعهم عن طريق الرواية الشفوية أشعار وقصائد ينظمونها. ونشأت تبعا لذلك «ايام العرب» فى المجالس القبلية المسائية، وكان

هذا القصص من مجموع الروايات الشفوية التى تداولتها القبائل فيما بينها، وكانت ملكا مشتركا بينها، وبقيت هذه القصص حتى جمعت وصنفت ودونت فى القرن الثانى الهجرى - الثامن الميلادى -، وقد حوت الأيام برغم ما فيها من مبالغات، بعض الحقائق التاريخية، وترجع أهميتها الأساسية فى أنها حفظت لنا بعض الأحداث التاريخية التى وقعت قبل الإسلام وعند ظهوره وفى صدره الأول.

ولقد وجدت تدوينات ونقوش تاريخية، فى حواضر الجزيرة العربية، وبخاصة فى اليمن والحيرة بالعراق على جدران القصور والمعابد، وقد حوت هذه النقوش بعض أخبار تاريخ الدول التى قامت هناك قبل الإسلام.

ولما قامت دولة الإسلام، اهتم المسلمون بدراسة التاريخ، وذلك لإشارة الرسول - ﷺ- لدور القرآن التاريخى ، ولقد جاء القرآن الكريم بنظرة جدية إلى الماضى وأكد على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم السابقة والبائدة للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التى تنطوى عليها.

وجاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ تتمثل فى توالى النبوات، وكان لهذه النظرة أثرها فى الالتفاف إلى تاريخ الأنبياء وإلى الإسرائيليات، وقد اقتصرت هذه النظرة العالمية على ما قبل الإسلام، أما بعد الإسلام فقد انصبت الدراسة التاريخية على تاريخ الإسلام.

وقد نص القرآن على أن أقوال الرسول - ﷺ - موحى بها وأن سيرته - ﷺ- مثل للمسلمين يقتدون به، وهنا جاء الدافع المباشر لدراسة سيرة الرسول - ﷺ - وكان ذلك مدخل المسلمين إلى دراسة علم التاريخ.

وقد شعر العرب فى الإسلام بأنهم أصحاب رسالة جليلة سامية ، وأنهم يمرون بمرحلة مهمة فى تاريخهم عليهم أن يسجلوها، كما أن الفتوحات التى قاموا بها جعلتهم يحسون بأن لهم دورا تاريخيا خطيرا، وأنهم بهذه الفتوح قد سطروا سطورا جديدة فى التاريخ وكان لكل ذلك أثره القوى فى اهتمامهم بما وقع فى البلاد المفتوحة من أحداث فى ظل الإسلام وقبله.

ونلاحظ أن بداية علم التاريخ عند المسلمين سارت فى اتجاه ديني، وهو الاتجاه الذى ظهر عند أهل الحديث فى مجتمع صدر الإسلام وكانت حاجة المسلمين قد أصبحت ماسة إلى معرفة سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - استقصاء للسنة فتوفر رجال على جمع أخبار السيرة النبوية وتدوينها، فكان ذلك بدء اشتغال العرب فى الإسلام بالتاريخ، علما بأن التاريخ لم يخرج يومئذ عن كونه نوعا من أنواع الحديث، ولذا يمكن القول بأن المؤرخين المسلمين بدأوا محدثين ثم انتهوا مؤرخين.

ولقد مرت الكتابة التاريخية عند المسلمين بالمراحل التالية :

١- كتاب السير والمغازى :

ولقد سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول - ﷺ - باسم المغازي، وهى كلمة تعنى لغويا غزوات الرسول ﷺ وحروبه، ولكنها فى الحقيقة، تناولت فترة الرسالة النبوية بأكملها. ولقد كانت سيرة الرسول ﷺ جزءا من الحديث يرويها الصحابة رواياتهم للحديث، لذلك سلكوا فى روايتها نفس أسلوب الحديث فى الرواية وهو أسلوب الإسناد أو العنعنة. وكان أكثر كتاب السيرة والمغازى الأول من أهل المدينة المنورة، لكون المدينة موطن الرسول ﷺ وعاصمة الدولة التى أقامها. ولقد وصلتنا من ابن اسحق أقدم سيرة للرسول ﷺ وقد اختصر ابن هشام «توفى سنة ٢١٨ هـ» سيرة ابن اسحق فى كتابه المعروف بسيرة ابن هشام.

٢- الإخباريون:

شاعت بين المسلمين أخبار الأمم البائدة والديانات السابقة على الإسلام فتوافرت بذلك اسباب شتى اقتضت جمع الأخبار المتصلة بكل تلك الأمور وتدوينها.

كذلك ساعد على تدوين أخبار الأقدمين وجمعها أمور أهمها : حاجة المشتغلين بتفسير القرآن لبعض المعرفة التاريخية لإشارات القرآن لبعض وقائع هذا التاريخ إشارة مختصرة. فضلا عن ميل بعض الخلفاء إلى التثقيف والتزود بمعلومات عن أخبار الأمم وسياسات الملوك القدامي، كذلك فإن لتفشى نعرة الشعوبية فى العصر الأموى دفع شعوب الموالى إلى البحث عن تاريخهم القديم وإبرازه ومباهاتهم العرب به حتى يكون لهم سلاح ضد العصبية العنصرية التى ابتلى بها العصر الأموي.

ومن أجل ذلك كله، وجد فى القرن الثانى الهجري، إلى جانب السيرة والمغازى نوع آخر من الرواية التاريخية موضوعه أخبار الماضين وأحوال الجاهلية وحوادث الإسلام، وقد أطلق العرب على ذلك كله فى بادئ الأمر لفظ الأخبار، وأطلقوا على المتخصص فى روايته لفظ : الإخباري.

٣- مؤرخو القرن الثالث الهجرى :

نلاحظ فى هذا القرن زيادة ملموسة فى المادة التاريخية عند مؤرخى المسلمين، وذلك بسبب استقرار دواوين الدولة العباسية وقيامها بواجباتها الأمر الذى مكن الباحثين فى التاريخ من الانتفاع بها فى بحثهم التاريخي. وكتب مؤرخوا هذا القرن فى شتى الموضوعات التاريخية نتيجة توسع الدولة الإسلامية وتطور الأحداث والأحوال فيها.

٤- مؤرخو القرن الرابع الهجري:

وصلت كتابة التاريخ عند المسلمين إلى أعلى مستواها فى هذا القرن، وذلك لظهور المؤرخين الكبار فيه من أمثال ابن مسكويه، صاحب كتاب تجارب الأمم، والمسعودى صاحب كتاب «مروج الذهب ومعادن

الجوهر، والتنوخى صاحب كتاب، جامع التواريخ، وظهر فى هذا القرن أيضا عدد من المؤرخين الرحالة أمثال : الشريف الإدريسى وابن جبير. ولقد تنوعت الكتابة التاريخية عند المسلمين منذ ذلك القرن، فلم تقتصر عندهم على كتابة التاريخ العام، بل ظهرت التواريخ المحلية للأقطار وللمدن، وكتب التراجم والطبقات، وكتب الخطط، وبذلك تكون قد ظهرت من بين المؤرخين المسلمين طائفة تقف جنبا إلى جنب، مع كبار مؤرخى العالم فى تحرى المنهج التاريخى السليم.

ويؤخذ على بعض المؤرخين المسلمين اهتمامهم بتاريخ العالم الإسلامى دون غيره، وتركيزهم على الجانب السياسى دون الجانب الحضارى وحياة الخلفاء والحكام والسلاطين.

كذلك يؤخذ على بعضهم غلبة النزعة الدينية فى الكتابة وإن كانت هذه النزعة قد سيطرت على كل مؤرخى الشرق والغرب فى فترة العصور التاريخية الوسطى

«ب» العلوم العقلية

حركة الترجمة والنقل من التراث الهندى والفارسى واليونانى :

تسربت الثقافات الأجنبية : الهندية والفارسية واليونانية إلى الثقافة العربية، وبخاصة فى مجال العلوم العقلية، وذلك عن طريق الاحتكاك المباشر بعناصر هذه الثقافات ودخول سكان البلاد المفتوحة فى الإسلام.

ومن المؤكد أن العرب أخذوا من الثقافات المختلفة بقدر متفاوت، وهذه الثقافات جميعها، مهما تكون خطوطها فى التأثير، فقد التقت واجتمعت فى الثقافة الإسلامية وقد هضمها العرب واستوعبوها وأضافوا إليها، فاستقلت وتميزت بطابعها الإسلامى الخاص فى العصر العباسي،

وأصبحت بعيدة عن أصولها القديمة بعدا شاسعا بحيث يمكن أن يقال عنها أنها صارت ثقافة إسلامية خالصة.

وكانت عملية النقل والترجمة أهم طريق لتسرب الثقافات الأجنبية إلى الثقافة العربية، وقد مرت هذه الحركة بالمراحل التالية :

النقل فى العصر الأموى :

ولقد ورد فى مجال النقل فى العهد الأموى أن سالما كاتب الخليفة هشام بن عبد الملك قد نقل عن اليونانية إلى العربية رسائل الفيلسوف أرسطو إلى الإسكندر الأكبر المقدوني، وبرغم أن حركة النقل والترجمة فى العصر الأموى إلى العربية كانت حركة فردية وقام بها بعض الأفراد على نفقتهم الخاصة إلا أن جهدهم فى ذلك كان نواة لحركة النقل والترجمة الواسعة فى العصر الذى تلاه، وهو العصر العباسي.

النقل فى العصر العباسى الأول :

ترجمت فى هذا العصر معظم كتب اليونان والهنود والفرس، ولم يقف العرب فى هذا الدور موقف الناقل الأمين لعلوم الأمم المختلفة فى عصورها القديمة فحسب، وحفظها من الضياع فى وقت ساد فيه الجهل والتعصب قارة أوروبا، بل زادوا على ذلك، فوقفوا موقف الدارس والشارح والمؤلف بما قاموا به من دراسة ما نقلوه وما شرحوه للغامض وما صححوه فيه من أخطاء وما زادوا عليه.

فلما جاء الرشيد تقدمت الترجمة فى عهده تقدما كبيرا، وكان الرشيد ووزراؤه البرامكة يبذلون من مالهم ووقتهم الكثير فى سبيل دفع حركة النقل إلى الأمام، ولقد عثر الرشيد فى حروبه فى أنقره وعمورية وغيرهما من بلاد الروم، على كتب كثيرة حملها معه إلى بغداد، وأمر طبيبه «يوحنا بن ماسويه» بترجمتها إلى العربية، كذلك أمر البرامكة المترجمين بنقل كثير من الكتب الفارسية والهندية واليوناينة إلى العربية، فنقلت كتب كثيرة إليها، وبخاصة كتب جالينوس فى مجال الطب، وكتب أرسطو وأفلاطون فى الفلسفة، وبدا الناس يستخدمون طرق الفكر الفلسفى اليونانى فى الحوار والجدل، وبخاصة جماعة المعتزلة.

الترجمة والنقل فى «عصر المأمون ١٩٨ هـ - ٢١٨ هـ» :

لو لم يكن المأمون خليفة لكان أحد العلماء البارزين فى العصر العباسي، وقد نشأ هذا الخليفة نشأة علمية وعاش فى وسط علمى وشارك العلماء مناقشتهم فى علومهم فكان واحدا منهم، وقد مال المأمون إلى مذهب المعتزلة وفكرهم لكونه مذهبا يعتمد على العقل والتفكير فى الحكم على الأشياء. وقد أفاد هذا الخليفة من مركزه السياسى فى تدعيم الحركة العلمية فأمر بنقل جميع ما يقع عليه من كتب فلسفية ومنطق لتأييد الفكر المعتزلي، كما أمر بترجمة جميع الكتب فى مختلف الفنون وأنفق على ذلك بسخاء، حتى قيل أنه كان يعطى وزن ما يترجم له لصاحب الترجمة ذهبا. فأقبل لذلك على بلاطه العلماء والمترجمون من كل الأجناس ، وكثر الوراقون فى عهده وراجت صناعة العلم والأدب والنقل والترجمة.

العلوم الفلسفية :

استمد العرب الكثير من علومهم الفلسفية من الثقافة اليونانية، ولقد كانت هذه الثقافة منتشرة فى بلاد الشرق قبل الإسلام منذ فتوح الإسكندر الأكبر لكثير من بلاد آسيا. وظهرت فى الإسكندرية فلسفة الأفلاطونية الحديثة، واستقر عدد من فلاسفة اليونان فى مدينة جنديسابور الفارسية التى كانت تعلم فيها العلوم اليونانية باللغة الآرامية.

وقد أقبل علماء المسلمين على دراسة الفلسفة فى أواخر العهد الأموى وأوائل العباسى بسبب اشتداد الجدل بين المسلمين والمسيحيين آنذاك فى الأديان الأمر الذى دفع علماء المسلمين لاستخدام نفس سلاح المسيحيين فى هذا الجدل وهو المنطق والمحاورة، وقد تحول حب المسلمين للفلسفة من كونها سلاحا للدفاع عن الإسلام إلى حبها لذاتها بعد أن وجدوا فيها المتعة العقلية.

ومن أشهر فلاسفة المسلمين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية، وظهروا فى العصر العباسي، (الكندي، والفارابي، وابن سينا، وإخوان الصفا). ومن العلوم الفلسفية التى أخذ بها العرب العلم الذى عرف **بعلم الكلام**، وهو العلم الذى يبحث فى العقائد وفى الرد على المخالفين بالأدلة العقلية.

فهو مبنى على أن أصحابه يؤمنون بالعقائد الدينية وبصحة الاعتقادات الإسلامية، ثم يتحاورون مع خصومهم بالأدوات الفلسفية وهى الجدل والمنطق، والفرق بين الفيلسوف وعالم الكلام كالفرق بين القاضى والمحامي، فالقاضى يحكم فى قضية يبحثها ليصدر حكمه العادل فيها، أما المتكلم فهو كالمحامى الذى يدافع عن قضية يؤمن بها ويعتقد فى صحتها فيتولى الدفاع عنها.

ومن أسباب نشوء علم الكلام عند المسلمين وهو أن، الفرق الإسلامية أخذت تختلف فى كثير من القضايا وتحتكم إلى الجدل تارة وإلى السيف تارة أخرى فى تأييد دعواها. كذلك دعت الحاجة علماء المسلمين أن يجادلوا أتباع الديانات الأخرى من غير المسلمين الذين اعتمدوا فى جدلهم على الفلسفة والمنطق فى تأييد دعواهم فتسلح المسمون بنفس سلاحهم فى حربهم معهم.

وإذا كان علم الكلام قد بدأ ظهوره فى أواخر العصر الأموى فإنه اتسع وازداد الأخذ به فى العصر العباسي، وقد اخذ به المعتزلة، كما أخذ به اتباع الفرق الأخرى كالشيعة والمرجئة والخوارج.

علوم الطب والصيدلة :

أعتمد العرب فى طبهم منذ صدر الإسلام على التجربة والملاحظة ولم يتقيدوا برأى أطباء اليونان تقيدا تاما، وصار لهم طبهم الخاص المميز، وقد عرف العرب، أيضا العلاج النفسى والعلاج الطبيعي، وقد كثر اشتغال النصارى واليهود بالطب فى ظل الدولة الإسلامية ونبغ الأطباء النصارى المشارقة فى الوقت الذى كانت فيه الكنيسة الغربية تحرم صناعة الطب، وتعتبر أن المرض عقاب من الله لا ينبغى لإنسان أن يصرفه عمن استحقه.

ولقد بنى المسلمون المستشفيات التى عرفت فى صدر الإسلام باسم المارستان أو - البيمارستان - وكان **الخليفة الوليد بن عبدالملك الأموى «٨٦هـ -٩٦هـ»** أول من بنى المارستان فى الإسلام، وجعل فيها الأطباء وأجرى عليهم الأرزاق، وجعل فى هذا المارستان قسما لعلاج الجذام، وقسما خاصا للأمراض النفسية والعصبية.

واشتغلت النساء المسلمات بالتمريض منذ عهد الرسول - ﷺ- وخاصة فى أوقات الحروب، ومن هؤلاء النسوة السيدة عائشة رضى الله عنها.

وإلى جانب الأطباء المسيحيين والصابئة، اشتهر فى الدولة العباسية عدد وافر من أطباء المسلمون، لم يكونوا بأقل مكانة ولا موهبة من الأطباء غير المسلمين، بل كانت لهم الشهرة المدوية فى العالم الإسلامى ولازالت بصماتهم واضحة فى تاريخ الطب حتى اليوم، ويأتى فى مقدمة هؤلاء : (الرازي، وابن سينا، وعلى بن العباسي)، ومن أطباء مصر والشام آنذاك : (ابن النفيس، وابن رضوان، وعبد اللطيف البغدادي، وموسى بن ميمون اليهودي)، ومن أطباء الأندلس، (الزهراوي، وابن رشد).

ولقد استخدم المسلمون المرقد «المخدر» عند إجراء العمليات واستخرجوه من نبات الخشاش، كذلك استخدموا الأفيون فى علاج الجنون واستخدموا الثلج فى علاج الحمى ووقف النزيف، واكتشفوا مرض الجذام ووجدوا العلاج له، كما اكتشفوا مرض السل الرئوى والشلل ووجدوا العلاج لهما.

وكانوا أول من فتت الحصاة فى المثانة والحالب، وأول من عالجوا بالكى بالنار والفصد، كما أجروا عمليات إزالة المياه من العيون، وعرف أطباء العرب الدورة الدموية ووضعوا أول وصف لها، واخترعوا آلات جديدة فى الجراحة ووضعوا رسوما لها، واستخدموا خيطان الجروح من أمعاء القطط والحيوانات الأخري. وتوسعوا فى بناء المستشفيات، وأوجدوا المستشفيات المتخصصة، واستحدثوا التمريض النسائي. وفى مجال الصيدلة اكتشف العرب الكثير من الأدوية المفردة، وقاموا بتركيب الأدوية ونبغوا فى علم الأقرابازين «تركيب الأدوية» وألفوا بالعربية فيه، واستخدموا هذه الأدوية فى علاج الأمراض المختلفة.

علم الفلك والرياضيات :

١- علم الفلك :

ذكر القرآن كثيرا من القضايا الفلكية وأمر بالتدبر فيما يجرى فى السماء فى عالم النجوم والكواكب، الأمر الذى دفع المسلمين إلى علم الفلك، كذلك دفعهم إلى ذلك رغبتهم فى معرفة أوقات الصلاة بحسب الموقع الجغرافى، والاتجاه إلى القبلة فى صلواتهم ورؤية هلال رمضان وتحديد ساعات الصوم.

وكان ابتداء اهتمام المسلمين بعلم الفلك فى العهد الأموي، على يد **الأمير خالد بن يزيد بن معاوية**، وترجم لهذا الأمير أول كتاب للفلك عن اليونانية وهو كتاب، عرض مفتاح النجوم، المنسوب لهرمس الحكيم.

والفلكيون المسلمون هم أول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة وخطوط الطول ودوائر

العرض، وهم أول من قال باستدارة الأرض ودورانها حول نفسها حول الشمس، وهم الذين حددوا انحراف سمت الشمس تحديدا دقيقا، ووفقوا فى حساب طول السنة الشمسية ورصد الاعتدالين الربيعى والخريفي.

كذلك كتب هؤلاء الفلكيون عن كلف الشمس قبل أن تعرف أوروبا اسباب هذا الكلف بعدة قرون، كما كتبوا عن الكسوف والخسوف وأسبابهما، ووضع عبدالرحمن الصوفى مؤلفا فى النجوم الثابتة، وعمل لها الخرائط المصورة، وذكر أكثر من ألف نجم مع رسمها.

ويذكر علماء الفلك الغربيون أن نصف أسماء النجوم المعروفة فى اللغات الأجنبية هى من وضع العرب ومستعملة بنفس لفظها العربى فى هذه اللغات.

ولقد أهتم الخلفاء والحكام والولاة المسلمون ببناء المراصد الفلكية وتزويدها بآلات الرصد وأجهزتها وأدواتها، ولقد بنى الأمويون فى دمشق أول المراصد ثم تتابع بناء المراصد فى العصر العباسى فى مختلف أقاليم الدولة، كذلك بنى الخليفة الفاطمى **الحاكم بأمر الله** مرصدا على جبل المقطم بالقاهرة، عرف بالمرصد الحاكمي.

ولقد ألف بعض علماء المسلمين فى الفلك كتبا بأسماء آلات الرصد وأوصافها، ومن الآلات الفلكية التى وضعوها واستعملوها (الأسطرلاب)[1] ولقد استعملها المسلمون فى قياس الارتفاعات والمسافات وحفر الآبار ومعرفة ارتفاع النجوم والكواكب السيارة والثابتة وتحديد أوقات الصلاة ومطالع البروج.

٢ - العلوم الرياضية.

من المعروف أن المسلمين بنوا معارفهم فى الرياضيات على أساس من علوم اليونان والهنود، ثم تقدموا فى هذا العلم وطوروه وأدخلوا عليه نظريات جديدة حتى ظهر من بينهم علماء رياضيون كانت لهم شهرتهم العالمية، وكانت لهم اكتشافاتهم المفيدة المتقدمة فيه، وقد شملت معارف المسلمين كل العلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة وحساب مثلثات.

<u>وفى الحساب:</u> أخذ العرب عن الهنود نظام الترقيم، وكونوا منها مجموعتين عرفت إحداهما بالأرقام (الهندية) وهى التى لاتزال تستعمل فى معظم البلاد العربية، وعرفت الأخرى بالأرقام (الغبارية)، لأن الهنود كانوا يرشون عليها غبارا ناعما على لوح من خشب عند كتابتها، وهى التى تكتب بها شعوب أوروبا الآن أرقامها.

ولقد اخترع العرب (الصفر) فى الحساب وكان الهنود يستخدمون دائرة (سونيا) بدلاً من الصفر

---

(١) الاسطرلاب : جهاز يستعمل لتحديد الجهات الأصلية .

للتعبير عن لاشئ كذلك اخترعوا الكسر العشرى والجذور والمربعات المتوالية والمكعبات، وحدد علماء المسلمين القيمة الوضعية للرقم وهو فى خانة الآحاد أو العشرات أو المئات والألوف.

أما الجبر: فهى كلمة عربية لعلم عربى فى الرياضيات اخترعه العرب المسلمون وانتقل منهم إلى الشعوب المختلفة، ومخترع هذا العلم هو الرياضى المسلم الشهير **محمد بن موسى الخوارزمى** الذى خلع اسم (الجبر) على هذا العلم فى كتابه حساب الجبر والمقابلة.

وجاء بعد الخوارزمى علماء مسلمون أوجدوا رموزاً خاصة فى هذا العلم واستعملوها فى العمليات الرياضية، وسبقوا بها الأوروبيين بمئات السنين، فبعد الخوارزمى جاء الشاعر **عمر الخيام** (توفى سنة ٥١٥هـ) الذى قام بحل المعادلات من الدرجة الثالثة والرابعة.

وفى الهندسة: ترجم المسلمون كتاب إقليدس فى الهندسة عن اليونانية، وأطلقوا عليه اسم كتاب: الأصول وقد وجدوا أن الهندسة قد وصلت فى هذا الكتاب إلى حد الكمال، وأن إقليدس جمع فيه خلاصة أبحاث اليونان فى هذا العلم، ولم يقف العرب عند كتاب الأصول، بل زادوا عليه وألفوا فى الهندسة مؤلفات جديدة وطبقوا - النظريات الهندسية فى الحياة العملية - وللعالم ابن الهيثم (توفى سنة ٤٣٠ هـ) تصانيف وتأليف كثيرة فى هذا العلم.ولقد أفاد المسلمون من الهندسة فى تقدم فن الزخرفة العربية المعروف بفن (الأرقشة) أو الأرابيسك، وهو فن زخرفى عربى إسلامى ينسبه الأوروبيون إلى مخترعيه العرب، وفيه يعتمد الفنان على الزخرفة الهندسية بالنبات وأوراقه وزهوره وثماره، ولقد استخدم واضعوا هذا النوع من الزخرفة القواعد الهندسية الثابتة فى رسم المضلعات والمثلثات، وفى ترتيب الخطوط ترتيبا هندسيا غاية فى التناسق، ومن العلوم الرياضية التى نبغ فيها العرب المسلمون واخترعوها، علم حساب المثلثات.

علوم الكيمياء والفيزياء والميكانيكا.

دفعت الفكرة التى كانت سائدة عند علماء العصور القديمة والوسطي، وهى إمكان تحويل المعادن الخسيسة (القليلة القيمة) إلى معادن ثمينة، الأمير خالد بن يزيد بن معاوية إلى استدعاء الراهب الكيميائى مريانوس من الإسكندرية لتعليمه هذا الفن، وتكليف اسطفان الحكيم بترجمة كتب الكيمياء اليونانية إلى العربية.

يعد جابر بن حيان (توفى سنة٧٤١ هـ) أبوالكيمياء الإسلامية: إذ ينسب إليه أكثر من خمسمائة مؤلف فى هذا العلم، وهو أول من حضر حامض الكبريتيك (زيت الزاج) واكتشف حامض النيتريك وكلوريد الزئبق، ويأتى بعد ابن حيان فى صنعة الكيمياء تلميذه **محمد بن زكريا الرازى (توفى سنة ١٢٣هـ)** الذى تأثر بتعاليمه وهضم أبحاثه وأكمل الطريق الذى بدأه.

ولقد نجح علماء الكيمياء المسلمون فى اختراعات كيميائية كثيرة منها تقطير الخل، وتصنيع الزجاج، وصنع الورق غير القابل للاحتراق، وتحضير أنواع من الطلاء تمنع الصدأ عن الحديد، واستخدام الشب فى تثبيت ألوان الصباغة واستنباط طرق لتحضير الفولاذ وتنقية المعادن وصناعة البارود.

أما الفيزياء: فقد بحث المسلمون فى جميع فروعها ولقد سموا الضوء بعلم البصريات أو علم المناظر، الذى نبغ فيه العالم المسلم **الحسن بن الهيثم** وألف كتبا فيه كذلك نبغ فيه العالم **الخازن البصرى** الذى عاش فى القرن الرابع الهجري، وألف فى علم الضوء والمرايا.

ولقد برز البيروني: أيضا فى هذا العلم، وامتاز بابتكاراته فيه، وينسب إليه تعيين الكثافة النوعية لثمانية عشر نوعا من أنواع الأحجار الكريمة ووضعه قانون الكثافة النوعية وهو أول من أعلن أن سرعة الضوء أسرع بكثير من سرعة الصوت.

وفى علم الصوت: بحث علماء المسلمين فى الصوت ومنشئه وقوته، وهداهم ذلك إلى البحث فى الموسيقى وصنع الآلات الموسيقية والضرب عليها ومعرفة أنواع النغم، ويعد **القزوينى والفارابى** أشهر من بحثوا فى هذا العلم وألفوا فيه.

أما علم الميكانيكا: فقد سماه المسلمون بعلم: الحيل، وقسموه إلى قسمين:

قسم يبحث فى آلات الحركات وصناعة الأوانى العجيبة، وقسم آخر يبحث فى جر الآلات بأقل مجهود، وقد درس المسلمون فى هذا العلم كثيراً من الأدوات الميكانيكية كالروافع واللوالب وغيرها، وكان اعتمادهم فى ذلك فى أول الأمر على ما ورد فى كتب اليونان، ثم بعد ذلك اخترعوا وتفننوا وأضافوا فى هذا العلم. ومن الأبحاث المهمة التى توصل إليها المسلمون فى هذا العلم معرفتهم حساب الوزن النوعى للأشياء، وصنع آلات خاصة لعمل حساب الثقل النوعى للأشياء حساباً دقيقا كذلك توصلوا إلى قوانين سقوط الأشياء من الجو، والضغط الجوى وقياسه، وسر الجاذبية الأرضية قبل أن تعرف أوروبا ذلك بمئات السنين.

ثالثا: الفنون الإسلامية

تعبر الفنون الإسلامية عن نظرة الإنسان المسلم للكون والحياة ومدى إدراكه لإبداع الله تعالى فى خلقه وعظيم صنعته والفنون الإسلامية من أوسع فنون العالم انتشاراً، وأطولها زمنا لما تمتعت به من خصائص، فقد تميزت بشخصيتها المستقلة، وبالإتقان والبعد عن محاكاة الطبيعة، والمبالغة فى الزخرفة، وفى نفس الوقت استوعبت عناصر التفوق فى الفنون السابقة على الإسلام، كالفنون الساسانية، والبيزنطية، أو القبطية، والفرعونية، وأخذت منها ما يتفق وروح الإسلام.

وقد تعددت أنواع الفنون الإسلامية بين تصوير ورسم وزخرفة، وعمارة، وموسيقي، وبدأت هذه الفنون فى الظهور تدريجياً فى العالم الإسلامى منذ النصف الثانى من القرن الأول الهجري.

التصوير والرسم والزخرفة:

(أ) التصوير والرسم:

شكل (١٣) زخارف ورسوم إسلامية

ظهر التصوير والرسم فى العصر الأموى متأثراً بفن التصوير البيزنطي، فحوت جدران الجامع الأموى فى دمشق ومسجد قبة الصخرة بالقدس الشريف، والمسجد النبوى بالمدينة المنورة كثيراً من صور زخارف الفسيفساء التى ترجع إلى العصر الأموي، وأكثرها صور لزخارف نباتية غاية فى الدقة والجمال شكل (١٣). وعلى نطاق واسع انتشر الرسم والتصوير فى العصر العباسى متأثراً بالفن الفارسي، يظهر ذلك واضحا، فى مخلفات قصور العباسيين المحفوظة الآن بمتاحف العالم، من رسوم وصور، وتماثيل، وما حوته المخطوطات الأدبية كمقامات الحريرى من صور ورسوم بديعة. وفى مصر فى زمن الفاطميين والأيوبيين والمماليك تألق الفنانون المصريون فى الرسم والتصوير، يشهد بذلك ما تبقى من محتويات قصور الخلفاء والسلاطين، وكبار رجال الدولة والأغنياء، وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة كثير من هذه العناصر الفنية الرائعة.

شكل (١٤) أوانى خزفية بها مزيج من النقوش والألوان

وكذلك فإن المتاحف الإسبانية والعالمية مليئة بكثير من الرسومات والتصاوير والتماثيل التى استخرجت من قصور خلفاء الأمويين فى قرطبة والمدن الأخرى ببلاد الأندلس، ومن قصر الحمراء بمدينة غرناطة.

(ب) الزخرفة:

الفن الإسلامى فن زخرفى بطبيعته، حيث حرص الفنانون المسلمون على زخرفة منتجاتهم الفنية بشتى أنواع الزخارف من رسوم الكائنات الحية، ومن زخارف هندسية، أو نباتية أو كتابية أو خطية. وقد ابتعد الفنان المسلم فى فنه الزخرفى

عن محاكاة الطبيعة، فاستخدم الكائنات الخرافية، وابتكرت مخيلته منها أشياء كثيرة مثل الصقور ذات الوجوه الأدمية، أو الخيول المجنحة التى عرفت بالبراق، أو العنقاء، وطور الفنانون المسلمون الزخارف النباتية بطريقة انفرد بها الفن الإسلامى وأطلق عليه الأوروبيون فن (الأرابيسك) نسبة إلى العرب.

كذلك استخدم الفنان المسلم الخط العربى كعنصر زخرفى زين به العمائر، وزوق به منتجات الفنون التطبيقية المختلفة من الأوانى شكل (١٤) والمباخر والأدوات وغيرها، وقد ساعده على ذلك تنوع أشكال الخط العربى التى كان من أشهرها الخط الكوفى، الذى استخدم كثيراً فى المصاحف، والكتابات الأثرية، وخط النسخ الذى استعمل فى نسخ الكتب، وفى كتابة الرسائل فى ديوان الإنشاء.

العمارة الإسلامية:

أحدثت الفتوحات الإسلامية أثراً كبيراً فى حياة العرب حيث بدأوا فى الاختلاط بشعوب البلاد المفتوحة، وانتقلوا من حياة البداوة إلى حياة التحضر والمدنية، ومن ثم قلدوا شعوب البلاد المفتوحة فى استخدام أساليبهم فى البناء ولكن بما يتلاءم مع تعاليم دينهم، فشيدوا مثلهم الدور والقصور، وبنوا المدن الجديدة، ونشطت حركة البناء والعمارة فى هذه المدن فبنيت حولها الأسوار والحصون، وأقيمت بها المساجد، والدور والقصور والأسواق والحمامات والأربطة وخزانات المياه والبيمارستانات والمدارس.

(أ) المسجد

شكل (١٥) الجامع الأزهر

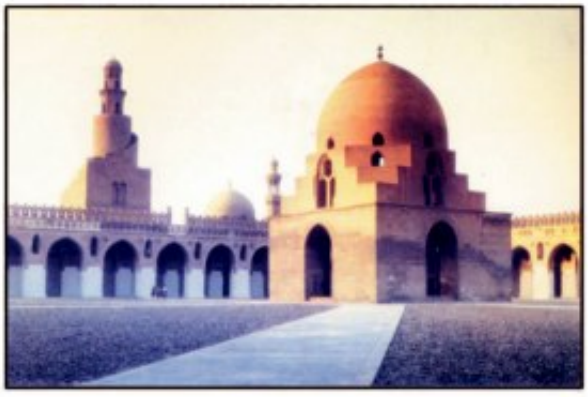

شكل (١٦) مسجد أحمد بن طولون

العمارة الإسلامية بدأت فعلاً بالمسجد حيث اهتم المسلمون ببناء المساجد اقتداء بما فعله رسول الله ﷺ فحين هاجر من مكة إلى المدينة، كان أول ما قام به هو بناء المسجد، وقد كان هذا المسجد

بسيطاً جداً: عبارة عن فناء مربع جدرانه من الطوب اللبن، وجعل له ظله نحو القبلة لحماية المصلين من حرارة الشمس ثم تطورت عمارة المساجد الإسلامية، شكل «١٥» على مر العصور ولكن فى نظام ثابت لا تخرج عنه فكان معظمها يتكون من ساحة مكشوفة فى الغالب تتوسطها بركة ماء للوضوء، ويحيط بها أربعة أروقة تسندها الأعمدة، ويتجه أحد هذه الأروقة نحو الكعبة ويوجد به المحراب والمنبر.

ويعد المسجد الأموى الذى جدده الخليفة الوليد بن عبدالملك، أحسن مثال لتقدم فن البناء والعمارة الإسلامية فى العصر الأموي، ومن أهم المساجد فى مصر مسجد عمرو بن العاص الذى شيده سنة ٢١هـ وجامع أحمد بن طولون شكل «١٦» الذى بناه فى عام ٢٦٥هـ ويعد هذا المسجد أكبر مساجد مصر وأقدم مسجد مازال محتفظا بتفاصيله المعمارية حتى الأن.

«ب» المدرسة

المدرسة تلى المسجد فى الأهمية من الناحية المعمارية والدينية حيث كانت المدرسة ملحقة بالمسجد فى أول الأمر، ثم انفصلت عنه بعد ذلك، واستقلت ببناء خاص بها وهى تتكون عادة من صحن مكشوف تحيط به أربعة إيوانات، ويكون مدخل المدرسة فى إحدى هذه الإيوانات الأربعة، وعادة ما يلحق بالمدرسة مكتبة تحتوى على مجموعات من الكتب الدراسية وغير الدراسية.

شكل (١٧) باب الفتوح

شكل (١٨) باب النصر

«ج» تخطيط المدن:

اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بإنشاء المدن الجديدة فى الأمصار المفتوحة من بينها البصرة والكوفة والفسطاط. والقيروان وواسط وبغداد والقاهرة كما قاموا بتطوير وتوسعة المدن القديمة فى هذه الأمصار.

ونشطت حركة البناء والعمارة فى هذه المدن الجديدة، وروعى فى عمارتها أن يتوسطها المسجد الجامع وحوله يخططون الشوارع ومواضع

البيوت والمنشآت العامة والأحياء للقبائل المختلفة، مع إحاطتها بسور شكل «١٨،١٧» لحمايتها، وبناء قلعة إلى جوارها على ربوة عالية للدفاع عنها ضد أى أعتداء.

٢- الموسيقي:

الموسيقى العربية من الفنون الحسية الأصيلة التى برع فيها العرب بعد أن استفادوا من التراث الموسيقى للفراعنة والبابليين والأشوريين فتفننوا فى التأليف الموسيقي، واخترعوا آلات موسيقية جديدة، وطورو القديم منها ومن هذه الآلات العود، والطنبور والربابة والقيثارة والقانون ومن أشهر أعلام الموسيقى العربية **الفارابى** الذى ألف فى الموسيقى العربية كتاب الموسيقى الكبير وكتاب كلام فى الموسيقى وكتاب فى إحصاء الإيقاع، ولم يبق من هذه الكتب سوى الجزء الأول من كتاب الموسيقى الكبير، وقد اهتم الأوروبيون كثيراً بمؤلفات الفارابى حتى اشتهرت عندهم باسم «فارابيوس»

ومن أشهر أعلام الموسيقى العربية أيضا الموسيقى العراقى أبوالحسن على بن نافع الشهير **بزرياب** الذى أحدث نقلة حضارية كبرى فى بلاد الأندلس وأسس هناك مدرسة موسيقية كبيرة، وذلك فى عهد الأميرعبدالرحمن الأوسط «٢٠٦هـ/ ٢٣٨هـ».

وإلى زرياب يرجع الفضل فى ظهور الموسيقى الأندلسية، والطرب الأسبانى الذى صاحب الموشحات الأندلسية، ونال زرياب شهرة كبيرة فى الغرب الأوروبى حيث بلغ عدد الطلاب الوافدون إلى مدرسته من جهات أسبانيا وألمانيا وفرنسا سبعمائة طالب وطالبة كانوا يدرسون فى مدرسته بقرطبة أصول الموسيقى والغناء والعزف.

أثر الحضارة الإسلامية فى الغرب وفى العالم

معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا

من الثابت أن العرب الذين اندفعوا من شبه جزيرتهم فى القرن السابع الميلادى ليشيدوا دولة واسعة امتدت من المحيط الهندى وحدود الصين شرقاً ، إلى المحيط الأطلسى وحدود فرنسا غرباً لم يكونوا من الشعوب الهمجية التى انسابت من جوف القارة الآسيوية فى العصور الوسطى ، والتى لا ترتبط اسماؤهم فى التاريخ إلا بالغزو والنهب والوحشية وإقامة الإمبراطوريات على أسس من العنف وسفك الدماء . ولو كان العرب كالمغول لحرمت أوربا من ذلك المنبع العذب الذى غزاها بنور العلم والمعرفة ، فى وقت كانت أحوج ما تكون إلى ذلك العلم وتلك المعرفة . ولكن العرب لم يفعلوا مثل المغول فيتخلصون من الكتب بحرقها ورميها فى الأنهار . إنما سارت الحضارة فى ركاب العرب أينما حلوا وصاحبتهم حيثما اتجهوا . فهناك بلاد فى الشرق والغرب وصلت فى العصور الوسطى إلى حالة يرثى

لها من الجهل والتأخر، فتحولت بعد فتح العرب لها واستقرارهم إلى مراكز حضارية يشع منها نور العلم وبريق المعرفة.

معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا

عندما أخذت الحضارة الإسلامية تشق طريقها إلى غرب أوربا منذ أواخر القرن الحادى عشر للميلاد، سلكت هذه الحضارة عدة معابر أهمها أربعة هى :

١- الأندلس .

٢- صقلية .

٣- بلاد الشرق الأدنى وما ارتبط بها من حروب صليبية.

٤- حركة الترجمة .

ولا أقل من أن نتناول كل معبر من هذه المعابر الأربعة بكلمة موجزة لبيان أهميته فى الاتصال الحضارى بين العالم الإسلامى من جهة والغرب الأوربى من جهة أخري.

١- الأندلس (أسبانيا) :

كانت أسبانيا عندما فتحها المسلمون فى أوائل القرن الثامن للميلاد لا تختلف عن بقية بلاد غرب أوربا فى ذلك الوقت من حيث إنتشار الجهل والتأخر والفوضى، بسبب النزاع الإجتماعى والإنحلال الداخلى والفتن الطائفية . ولكن المسلمين بعد أن فتحوها نقلوها إلى مرحلة إستقرار وإنشاء، فإتجهوا نحو إحياء الأرض الميتة، وتعمير المدن الخربة، وتنشيط التجارة الراكدة، وإنعاش الصناعة المتأخرة ، حتى أصبح الأندلس فى ظل خلافة قرطبة أغنى الأقطار الأوربية وأكثرها إزدحاماً بالسكان.

ثم إختار المسلمون أن يوطدوا سلطانهم فى الأندلس عن طريق العلم ، فإنصرفوا نحو العناية بالآداب والعلوم والفنون ، وعندئذ لم يقنعوا بما وصل إليه إخوانهم فى المشرق من تقدم ، بل زادوا على ذلك وإبتكروا ، وجددوا مما أتاح لأوربا مورداً عذباً إستساغت شرابه ، فظلت تنهل منه منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . ولم يدخر الأندلسيون وسعاً فى الحصول على علوم المشرق الإسلامى عن ثلاثة طرق ، هى : إما استدعاء علماء المشرق إلى الأندلس ، وإما سفر بعثات من عرب الأندلس إلى المشرق للتزود بالعلوم والمعرفة ثم العودة إلى الأندلس لنشر ما جمعوه من معارف، وإما عن طريق جمع الكتب التى هى أقدم وسائل النشاط العلمي.

وقد بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها بالأندلس فى النصف الثانى من القرن العاشر للميلاد عندما أصبحت قرطبة – عاصمة الخلفاء الأمويين – من أعظم مدن العالم المتحضر ، وبها ما يزيد على

مائتى ألف منزل يسكنها مليون نسمة. ويكفيها فخراً فى ذلك العصر أن أهلها كانوا يستطيعون المشى فى شوارعها بعد غروب الشمس فى ضوء المصابيح العامة ، فى حين ظلت مدينة لندن سبعة قرون بعد ذلك لا يجد فى طرقاتها مصباح عام واحد يضئ ليلاً . وهكذا استمر نور الحضارة الإسلامية ساطعاً فى الأندلس وبخاصة فى الجوانب الثقافية والإقتصادية والفنية ، حتى إمتد ليضئ غرب أوربا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر وما بعدهما. وساعد على هذه النهضة العظيمة بالأندلس سياسة التسامح التى اتبعها المسلمون تجاه أهل الذمة من مسيحيين ويهود . فأقبل المستعربون الأسبان على إستخدام اللغة العربية ، بل فضلوها على اللاتينية . وهكذا نشأت مدرسة كبيرة من غير المسلمين إستطاع أعضاؤها القيام بدور السفراء بين الحضارة الإسلامية من ناحية ، وأهالى غرب أوربا المتلهفين على الإستفادة من هذه الحضارة الإسلامية من ناحية أخري.

وعندما سقطت طليطلة فى أيدى المسيحيين سنة ١٠٨٥م إزداد تدفق طلاب العلم من مختلف بلدان غرب أوربا على الأندلس للإستزادة من الدراسات الإسلامية ، فنشطت حركة الترجمة عن العربية نشاطاً منقطع النظير ، واستمرت حتى القرن الخامس عشر . وهكذا ترجم إلى اللاتينية كثير من مؤلفات العرب فى مختلف العلوم والفنون ، كما ترجم إلى العربية كثير من مؤلفات اليونانيين مثل كتب جالينوس وبقراط ، وأفلاطون وأرسطو وإقليدس وغيرهم . وقد وجد من حكام أسبانيا المسيحيين من قدروا الثقافة العربية الإسلامية ، ومن هؤلاء الفونس الخامس حاكم قشتاله وليون (١٢٥٢ – ١٢٨٤م) الملقب بالحكيم.

٢- صقلية :

أما المعبر الثانى الذى إنتقلت عنه علوم المسلمين إلى الغرب الأوربى فكانت جزيرة صقلية ، حيث صار للحضارة الإسلامية شأن كبير فى العصور الوسطى . ذلك أن المسلمين عندما ثبتوا أقدامهم فى صقلية فى القرن التاسع للميلاد إهتموا بالزراعة فحفروا الترع والقنوات وأنشأوا المجارى المعقوفة التى كانت مجهولة قبلهم ، كما أدخلوا زراعة القطن وقصب السكر . وفى الصناعة إستغلوا ثروة الجزيرة الطبيعية فإستخرجوا منها الفضة والحديد والنحاس والكبريت ، وأدخلوا فيها صناعة الحرير أما تجارة صقلية فقد إتسع نطاقها على أيام العرب بعد أن بلغت الحضيض فى العصر السابق مباشرة.

على أن الحضارة الإسلامية لم تنته بانتهاء حكم المسلمين للجزيرة ، وإنما وجدت هذه الحضارة فى ملوك النورمان خير مشجع لها . ومن الواضح أن سبب حماية ملوك النورمان لعرب صقلية هو أنهم لمسوا تقدمهم فى الفنون والعلم والصناعات . وأدركوا أن تشجيع الجالية العربية بالجزيرة سيعود عليهم بفوائد عظيمة . لذلك شمل **روجر الأول** (١٠٦١-١١٠١م) العرب بعنايته وأحسن المحافظة

عليهم وحمايتهم ، بل كتب مراسيمه بالعربية إلى جانب اللاتينية واليونانية . وإمتازت النقود التى سكها هذا الملك بأن وجهها جاء مكتوباً عليه بالعربية ، والوجه الآخر مكتوب باللاتينية واليونانية ، كما أن بعض نقوده إشتمل على رمز الإسلام والبعض الآخر على شعار المسيحية . وقد سار خلفاء روجر على سنته فإستعان روجر الثانى (١١٢٩-١١٥٤م) بعلماء من العرب . وليس هناك من شك فى أن الشعر العربى كان يمارس فى بلاط ملوك صقلية النورمان ، ولكننا لم نسمع عن المدرسة الصقلية فى الشعر إلا فى عصر الإمبراطور «فردريك الثانى» فى القرن الثانى عشر ، وهو الإمبراطور الذى أسماه بعض الكتاب " نصف شرقى Semi Oriental " نظراً لما أحاط به نفسه من مظاهر شرقية عربية ، حتى قيل أنه تعلم اللغة العربية ، وجمع حوله عدداً كبيراً من العلماء والمغنيات العربيات ، وشجع ترجمة الكتب العربية كما شجع الجغرافيين والفلكيين والأدباء العرب .

٣- الشرق الأدنى والحروب الصليبية :

أما بلاد الشام والشرق الأدنى فكان لها شأن هام فى نقل بعض مظاهر الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى . ويرتبط ببلاد الشام فى هذا الصدد الحروب الصليبية وما نشأ عنها من صلات سياسية وحضارية وتجارية بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى . ورغم أن الصليبيين قصدوا منطقة الشرق الأدنى للحرب لا لطلب العلم ، وإمتازت حياتهم الجديدة فى تلك المنطقة بما تتصف به حياة الجنود عادة من خشونة ، فلا هم لهم إلا تحصين مواقعهم ، والدفاع عن كيانهم والإبقاء على معاقلهم التى أقاموها فى الشام وسط محيط إسلامى واسع ، إلا أنه ينبغى إنصافا للحقيقة – الإعتراف بأن الحروب الصليبية لم تخل من إتصالات حضارية وثقافية بين المسلمين والصليبيين . فمن الناحية اللغوية إنسابت كثير من الكلمات والمصطلحات العربية فى اللغات الأوربية وكذلك أثرت الحروب الصليبية فى تطور فن الحرب عند الأوربيين لا سيما فيما يتعلق ببناء القلاع والحصون . هذا بالإضافة إلى ما أدت إليه الحروب الصليبية من تقدم حركات الحصار ، وإستعمال المنجنيق والكباش الهادمة وإستخدام الدروع للفرسان وخيولهم ، وإرسال الرسائل الحربية عن طريق الحمام الزاجل.

ومن المحتمل أن يكون الشرق الإسلامى إبان الحروب الصليبية هو المصدر الذى أخذ عنه الغرب الأوربى ألعاب المبارزة التى تشبه كثيرا ألعاب الجريد (التحطيب) عند الشرقيين . وكذلك نلاحظ كثرة استعمال الشارات فى الغرب الأوربى نتيجة للإتصال بالمسلمين فى الشام . وليس هذا مجال الكلام عما أثارته الحروب الصليبية من نشاط تجارى بين الشرق والغرب ، وأثر هذا النشاط فى أحوال أوربا السياسية والإقتصادية والإجتماعية . وإنما نكتفى هنا بالإشارة إلى المؤثرات العربية فى الحياة الأوربية العامة نتيجة لنمو التبادل التجارى ، فنلاحظ إنتقال نباتات وحاصلات وأشجار جديدة من

شرق حوض البحر المتوسط إلى غربه مثل السمسم والأرز والليمون والبطيخ والثوم ، وإنتشار كثير من العقاقير والأصباغ والتوابل الشرقية فى الغرب ، هذا فضلاً عن إنتقال بعض العادات والتقاليد والنظم الإسلامية إلى الفرنجة.

٤- حركة الترجمة :

من الثابت أن النهضة الكبيرة التى شهدتها أوربا فى القرن الثانى عشر والتى إستمرت حتى نبعت منها حركة النهضة الشهيرة فى القرن الخامس عشر ، وإرتبطت إلى حد كبير – لا سيما فى الجانبين العلمى والفلسفى – بالتراثين اليونانى من جهة والعربى الإسلامى من جهة أخرى . ولم تستطع أوربا أن تستفيد من هذين التراثين إستفادة كاملة منذ القرن الثانى عشر إلا عن طريق حركة ترجمة واسعة عن العربية واليونانية . وهنا نلاحظ أن غرب أوربا ظل فى العصور الوسطى حتى القرن الثانى عشر يهمل العلوم والدراسات اليونانية إهمالا يكاد يكون تاماً . ولكن التراث اليونانى الذى لم يلق عناية فى غرب أوربا فى العصور المظلمة ، وجد التقدير الكافى والعناية الفائقة فى الشرق ، حيث ترجم كثير من مؤلفات اليونانيين إلى السريانية والعبرية أولا فالعربية بعد ذلك.

ولم تلبث هذه التراجم السامية للتراث اليونانى أن أصبحت فيما بعد على جانب عظيم من الأهمية بالنسبة لغرب أوربا ، الذى لم يعثر على جزء كبير من ذلك التراث إلا فى تلك التراجم . والحقيقة أنه لم يعد هناك طريق أمام الغرب الأوربى الذى أراد أن ينهض فى القرن الثانى عشر سوى الترجمة من العربية إلى اللاتينية . ولم تكن جميع الكتب التى أخذ الأوربيون فى ترجمتها إلى اللاتينية عندئذ من تأليف العرب أو إبتكارهم ، إذ كان جانب منها أصله يونانى ، ثم ترجمه العرب إلى لغتهم.

ومع ذلك فإن فضل العرب على الحضارة الغربية يبدو واضحاً فى الحالتين ، لأنهم إذا كانوا قد إبتكروا وألفوا فى الحالة الأولى ، فأنهم ترجموا وحافظوا على تراث الفكر اليونانى فى الحالة الثانية حتى أن كثيراً من مؤلفات اليونانيين اندثرت تماماً ولم يعد لها وجود إلا فى التراجم العربية.

ثم أن الغرب الأوربى لم يكتف فى كثير من الحالات بالوقوف على المادة اليونانية التى قدمها له المسلمون فى ترجمتها العربية ، بل كان الغرب أكثر تلهفاً على الشروح التى وضعها علماء المسلمين لتلك المادة . فمنذ القرن الثالث عشر مثلاً حرصت جامعة باريس على الربط بين فلسفة أرسطو وشروح ابن رشد لهذه الفلسفة.

أما أهم مراكز الترجمة عن العربية إلى اللاتينية ، فكانت مركزين : الأندلس وصقلية . والواقع أن **الأندلس** كان المركز الرئيسى للترجمة من العربية إلى اللاتينية فاتجه إليه كثير من أعلام النهضة الأوربية فى القرن الثانى عشر يطلبون الارتواء من فيض المدنية الإسلامية فى مختلف العلوم والآداب.

ونشطت حركة الترجمة عن العربية فى برشلونة وليون وطليطلة ، أما طليطلة فكان لها شأن كبير فى ذلك الميدان ، إذ أنشأ **ريموند** رئيس أساقفة طليطلة مكتباً كبيراً للترجمة من العربية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر ، وتمت فى ذلك المكتب ترجمة كثير من أمهات المراجع العربية إلى اللاتينية.

أما النصف الأخير من القرن الثانى عشر الميلادى فقد شهد جهود زعيم حركة الترجمة عن العربية وهو جيرارد (١١١٤ – ١١٨٧)م الذى رحل إلى طليطلة حيث قضى عدة سنوات تعلم فيها العربية على يد أحد المستعربين . وعندما أدرك أن العالم الأوربى الغربى مفتقر تماماً إلى تلك الدراسات التى زخرت بها المكتبة العربية الإسلامية فى طليطلة فى كل علم وفن ، عكف على ترجمتها إلى اللاتينية حتى توفى سنة ١١٨٧م وهو فى الثالثة والسبعين من عمره بعد أن ترجم إلى اللاتينية أكثر من سبعين مؤلفاً عربياً ، تناولت مختلف ألوان المعرفة ، وبخاصة الرياضيات والطبيعة والكيمياء والطب . على أن وفاة جيرارد لم تؤثر فى سير حركة الترجمة عن العربية ، اذ ظهر فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ألفرد الإنجليزى وميخائيل سكوت الاسكتلندى وهرمان الألمانى ، وجميعهم عملوا فى ترجمة المراجع العربية بأسبانيا.

أما **صقلية** فقد أسهمت هى الأخرى بنصيب مباشر فى حركة الترجمة عن العربية . وساعد على قيام صقلية بهذا الدور موقعها المتوسط بين أوربا وأفريقيا ، فضلاً عن دخولها تحت حكم المسلمين منذ سنة ٩٠٢م حتى سنة ١٠٩١م تقريباً ثم احتفاظها بنسبة كبيرة من سكانها المسلمين وثقافتها العربية فى عصر النورمان الذين خلفوا العرب فى حكم الجزيرة . وقد ترجم فى صقلية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر كثير من الكتب العربية ، ففى سنة ١١٥٠م ترجم إيو جنيوس البالرمى Eug-nius of Palermo كتاب بطليموس السكندرى فى المرئيات عن العربية . وفى سنة ١١٦٢م ترجمت عن العربية كتابات أخرى فى الفلك والرياضيات . واشتهر من المترجمين فى القرن الثالث عشر فرج بن سالم اليهودى المتوفى سنة ١٢٨٥م ، وهو من أصل صقلى ، طلب العلم فى سالرنو حيث ترجم كثيراً من كتب العرب إلى اللاتينية.

الخلاصة وعلى أى حال نجد أن :-

- الحضارة العربية ثبتت الصلة بين عباقرة الشعر فى أوروبا فى القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادى وما بعده وموضوعات الأدب العربى ونخص بالذكر بترارك ودانتي، أما فن القصة فى نشأته عند الأوروبيين فقد تأثر بفن القصة العربى مثل المقامات وأخبار الفروسية وغيرذلك.
- العرب هم الذين حفظوا فلسفة كبار فلاسفة اليونان، ولم يكتف العرب بنقل وحفظ التراث الفلسفى اليونانى بل أضافوا إليه كثيراً من الشروح والإضافات وكانت فلسفة ابن رشد من أهم الأفكار التى أثرت فى مفكرى الغرب لأنه الشارح الأعظم لفلسفة أرسطو، وظلت فلسفته تدرس

فى الجامعات الأوروبية من القرن الثالث عشر الميلادى حتى القرن السادس عشر.

- فى مجال الأدوية ترجم الأوروبيون كتاب ابن البيطار فظل مرجعاً مدة خمسة قرون فى أوروبا.
- كتب كبار علماء العرب فى الكيمياء مثل جابر ابن حيان والرازى وتوجد الأن كثير من الأسماء العربية للمواد الكمياوية ترجمت ونقلت عن كتب العرب كما هي.
- أفكار البيرونى وابن سينا ساعدت نيوتن فى الوصول إلى قانون الجاذبية كما ترجمت كتب الحسن بن الهيثم فى البصريات إلى اللاتينية، وظل مرجعاً لمعارف الأوروبيين فى البصريات.
- الأوروبيين يدينون للعرب بما عرفوه من أسس علم الرياضيات ولما ألفه الخوارزمى فى الرياضيات إلى اللاتينية وظلت مرجعاً هاماً مدة طويلة من الزمن.
- الشريف الإدريسى هو الذى تعلمت أوروبا على يديه علم الجغرافيا كما أن العرب نقلوا البوصلة إلى أوروبا وعلموا الأوروبيين كيفية استخدامها.

أسئلة الفصل الخامس

«١» الحضارة الإسلامية هى الأساس الحقيقى للحضارة الأوروبية الحديثة:

فى ضوء هذه العبارة وضح ما يلي:

«أ» مراكز نقل العلم فى الدولة الإسلامية.

«ب» أهمية العلم فى نشر الحضارة الإسلامية

«ج» ماذا تقول لعلماء المسلمين فى الوقت الحاضر فى ثلاثة أسطر من عندك؟

«د» ما مقترحاتك من أجل إحياء الحركة الفكرية للحضارة الإسلامية كسابق عهدها؟

«٢» ضع علامة «√» أو علامة «×» أمام ما يناسبها من العبارات التالية مع ذكر السبب فى الحالتين:

«أ» كانت عناية المسلمين فى صدر الإسلام قاصرة على العلوم الدينية ( )

«ب» كان المعلمون بالكتاتيب يعملون ابتغاء مرضاه الله ( )

«ج» ظهرت حركة الترجمة على أشدها فى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان ( )

«د» حرص الخليفة عمر بن الخطاب على تدوين القرآن فى مصحف واحد ( )

«هـ» كان الحديث النبوى الشريف أساسا لكثير من المعارف والعلوم التى ظهرت بعد ذلك ( )

«و» يرجع الفضل للعرب فى حماية التفكير الفلسفى لأوروبا ( )

«ز» يعتبر الفيلسوف ابن رشد من فلاسفة المسلمين الأوائل ( )

«هـ» نقل الأوروبيون علم الطب عن العرب ( )

«ط» كان العلماء العرب بعيدين عن علم الكيمياء فلم يطرقوه بالبحث ( )

«ي» يعتبر المسجد الأموى بدمشق مثالاً جيداً للعمارة الإسلامية ( )

«ك» اهتم المسلمون ببناء المدن الجديدة فى الأمصار التى يفتحونها ( )

«ل» يعتبر الفارابى أعظم من ألف فى الموسيقى العربية ( )

«م» تعتبر مدرسة زرياب الموسيقية أهم المدارس الموسيقية فى الأندلس ( )

«٣» أكمل العبارات التالية بالكلمات المناسبة:

«أ» نبغ العلماء العرب فى علم الفيزياء وكان أشهرهم العالم .....

«ب» برع العالم الإسلامى الخوارزمى فى علم .....

«ج» يعتبر إمام أهل الرأى فى الإسلام الإمام ..... وكان يعتمد على القرآن والسنة.

«د» اهتم الفنان المسلم برسم زخارف تمثل ..... بعيدا عن رسم الكائنات الحية.

«هـ» يعتبر المسجد هو أول المبانى ..... التى اهتم بها المسلمون.

«و» أنتج الصانع المسلم أوانى معدنية على أشكال .....

«ز» أول المبانى المعمارية التى اهتم بها المسلمون .....

«ج» أنشأ المسلمون فى الأقطار التى فتحوها .....

«٤» ماذا تقول لكل من..؟

«أ» العالم المسلم الذى اخترع علم الجبر

«ب» الأطباء المسلمون فى الوقت الحاضر، حتى ينهضوا بعلوم أجدادهم المسلمين.

«٥» كيف كانت كل من الأندلس وصقلية معبرًا من معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا؟

«٦» كيف تأثرت أوروبا بالحضارة الإسلامية فى مجالات.....؟

الطب- الفلسفة - الجغرافيا - الرياضيات

«٧» بم تفسر...؟

«أ» ازدهار فن الموسيقى فى الأندلس

«ب» يعتبر الفارابى أعظم مؤلفى العرب الموسيقيين

«ج» أهمية الأندلس فى نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

«د» ازدهار علم الطب عند العرب

«هـ» أهمية علم الحديث فى حياة المسلمين

«٨» ماذا تقول...؟

«أ» للطالب الذى يشوه بعض آثار الحضارة الإسلامية بكتابة بعض الأشياء عليها

«ب» لوزير الثقافة الذى يحرص على ترميم آثار الحضارة الإسلامية فى مصر.

«٩» عندما أخذت الحضارة الإسلامية تشق طريقها إلى غرب أوروبا منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى سلكت هذه الحضارة عدة معابر.

فى ضوء هذه العبارة وضح:

أ- أهم هذه المعابر

ب- أهمية الأندلس ودوره كمركز حضارى إسلامى وفضله على أوروبا

ح- دور صقلية كمركز حضارى إسلامى موضحا كيف انتقلت الحضارة منها إلى أوروبا.

الفصل السادس

الأهداف

في نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:

- يفسر أسباب تسمية الهجمات الأوروبية بالحروب الصليبية.
- يصنف الدوافع المعلنة والخفية للحروب الصليبية.
- يعدد الحملات الصليبية التى تعرض لها العالم الإسلامي.
- يشرح الجهود التى بذلها نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى فى خلاص المجتمع الإسلامى من الغزو الصليبي.
- يتعرف شروط صلح الرملة الذى عقد بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا.
- يقدر أهمية الجهاد للحفاظ على أمن البلاد.
- يعتز بدور مصر الرائد فى تخليص العالم الإسلامى من الخطرين الصليبى والمغولي.
- يلخص النتائج المترتبة على انتصارات المسلمين فى معركتى حطين وعين جالوت.
- يحدد على خريطة الوطن العربى الصماء موقع الإمارات الصليبية.
- يقارن بين الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة من حيث الأسباب والنتائج.

القضايا المتضمنة

- القانون الدولى الإنساني.
- التسامح والتربية من أجل السلام.
- حقوق الإنسان.

الأخطار الخارجية التى هددت الحضارة الإسلامية «الصليبيون.. المغول»

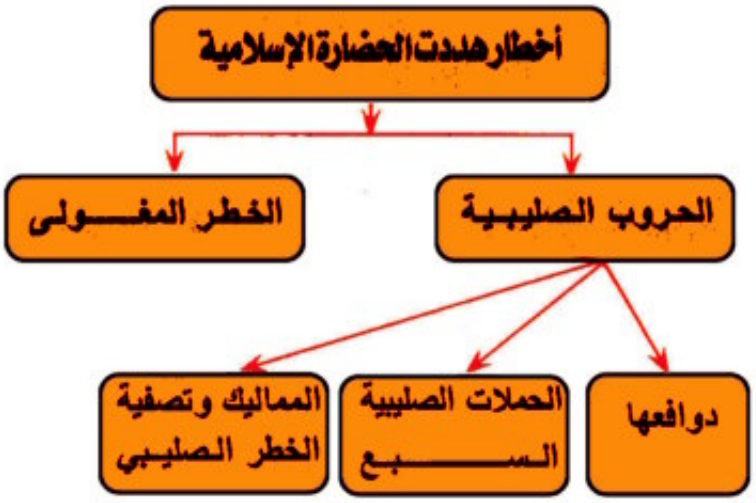

أولا: الحروب الصليبية

مقدمة:

فى الوقت الذى ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية، وبلغت قمة ازدهارها فى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأخذت أنوارها تشع على العالم وتبدد ظلماته، فوجئ العالم الإسلامى فى القرن التالى بعدوان شنته أوروبا على جزء عزيز منه، وقد كان هذا العدوان فى حقيقته عدوانا استعماريا، وإن كان قد اتخذ مظهرًا دينيا، وعرفت حروبه باسم الحروب الصليبية.

ولقد جاءت تسمية هذه الحروب بالحروب الصليبية لأن المحاربين الأوروبيين رسموا الصليب على صدورهم ودروعهم وأعلامهم، واتخذ رجالها من الصليب قناعا لهم ليوهموا الناس بأنهم يحاربون لنصرة المسيحية من عدوان المسلمين، ويخفون

وراء هذا القناع مطامعهم الاستعمارية الحقيقية فى بلاد الشرق الإسلامى الغنية. واستمرت هذه الحروب بين المسلمين والأوروبيين قرابة قرنين من الزمان مستهدفة بلاد الشام ومصر - قلعة الإسلام آنذاك وحصنه المتين - مستغلة حالة الضعف التى كان يعيشها العالم الإسلامى آنذاك،

ونجح الصليبيون فى تحقيق بعض أحلامهم أول الأمر، لكن رد فعل هجومهم على المسلمين كان كبيرًا، فسرعان ما إستيقظ العالم الإسلامى لهذا الخطر الداهم الذى استهدف تاريخه وعقيدته وحضارته، وعادت الوحدة لهذا العالم على يد الأيوبيين والمماليك الذين نجحوا فى إيقاع الهزائم المتتالية بهم حتى إنتهى الأمر بتحطيم آخر معاقلهم فى عكا سنة ١٢٩١م،

على يد السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاوون، فتطهرت البلاد الإسلامية من رجسهم وأزالت سيوف المسلمين المنتصرة من هنالك دنسهم.

ولقد صاحب الغزو الصليبى للعالم الإسلامى غزوا آخر إستهدف الإسلام وحضارته، وقد جاء هذا الغزو تلك المرة من الشرق الأقصي، وهو الغزو المغولى الذى قامت به قبائل المغول من الصين، وإجتاحت بأعدادها الكبيرة التى كانت مثل الجراد بلاد الشرق الإسلامى وأسقطت عاصمة الخلافة بغداد، وتقدمت قواتها إلى بلاد الشام مستهدفة ضرب مصر آخر المعاقل الإسلامية،

ولكن القوات الإسلامية المصرية والسورية نجحت بقيادة حكام المماليك فى هزيمة هذه القوات ودحرها فى عين جالوت بفلسطين، وكانت عين جالوت بداية النهاية لهذا الزحف التترى على بلاد العالم الإسلامي، مثلما كانت معركة عكا نهاية الغزو الصليبى لبلاد العالم الإسلامي.

وبرغم إندحار قوات الغزو الصليبى والمغولى على بلاد العالم الإسلامى فى العصور الوسطي، فإن العدوان الأجنبى على هذه البلاد لم ينته.

ولقد إتخذ العدوان الأوروبى شكلاً جديدًا من أشكال الحرب فى آخر هذه العصور، وهو شكل الحرب الاقتصادية، فنجح الأوروبيون وبخاصة البرتغاليون والإسبان فى ضرب إقتصاد مصر بما تمخضت عنه كشوفهم الجغرافية بكشف طريق جديد تسلكه التجارة العالمية غير طريق مصر، والشام، وهو طريق رأس الرجاء الصالح، وبحرمان مصر أكبر المعاقل الإسلامية آنذاك من مصدر قوتها العسكرية،

فانتصر صليبيو العصر الحديث وحققوا على المسلمين النصر الذى لم يستطع أسلافهم تحقيقه فى العصور الوسطي، وشرعوا فى الإنتقام من بلاد العالم الإسلامى بإحتلالها وفرض السيادة عليها وإستغلال مواردها لصالحهم ووقف حضارتها وتقدمها وفرض التخلف والجمود عليها فى الوقت الذى إستفاد فيه الغرب الأوروبى من خلال هذه الحروب الصليبية بأن تعرف على الحضارة الإسلامية لأنها كانت معبرًا من معابر النقل إليه،

وقد كانت الحروب الصليبية نزالاً عسكريًا بين الشرق الإسلامى والغرب الأوروبي، كذلك كانت

نزالاً حضاريًا بين بلاد كانت لها حضارة زاهرة، وبلاد كانت تعيش فى ظلمة وجهالة حتى إنهم أطلقوا على عصورهم الوسطى بسبب ذلك عصور الظلام.

دوافع الحروب الصليبية:

لقد ادعى الصليبيون أن دافعهم الوحيد لشن حروبهم ضد العالم الإسلامى فى العصور الوسطى هو الدافع الديني، ورغبتهم فى تأمين طريق الحجاج المسيحيين إلى كنيسة القيامة بالقدس بعد أن زعم الباباوات ورود الشكاوى الكثيرة إليهم من الحجاج عن سوء معاملة الأتراك السلاجقة لهم أثناء أداء فريضة الحج هناك، كذلك رغبتهم فى إستعادة الصليب المقدس «صليب الصلبوت» الذى كان فى حوزة المسلمين فى بيت المقدس.

وإلى جانب هذه الدوافع الدينية المعلنة من قبل قواد هذه الحروب، فلقد كانت هناك دوافع أخرى إقتصادية، وسياسية قصد هؤلاء القواد تحقيقها بواسطة هذه الحروب،

وتمثلت **الدوافع الإقتصادية** فى سوء الأحوال الإقتصادية عمومًا فى أوروبا آنذاك، ورغبة دول الغرب فى تحسين هذه الأحوال، مما يحصلون عليه من خيرات بلاد الشرق الغنية كذلك رغب الفلاحون الأوروبيون الذين وقعوا تحت وطأة النظام الإقطاعى الجائر فى بلادهم إلى تحسين أحوالهم وخلاص أرواحهم بالمشاركة فى هذه الحروب.

ورغب فرسان أوروبا وأمراؤها فى حل مشاكلهم الإجتماعية، والإقتصادية التى نتجت عن طبيعة النظام الإقطاعى الظالمة فى الغرب الأوروبي، وسارعوا لتلبية نداء البابوية فى قيادة جموع العامة المشاركة فى هذه الحروب.

كما حرصت المدن الإيطالية التجارية مثل بيزا وجنوة والبندقية على نقل الصليبيين على سفنهم، ونقل سائر الإمدادات للصليبيين بالشام بهدف تحقيق مصالح تجارية خاصة بها.

أما **الدوافع السياسية** لهذه الحروب، فقد تمثل أهمها فى إستجابة الغرب الأوروبى لنداء الإستغاثة من قبل الإمبراطور البيزنطى رومانوس الرابع بعد هزيمته هزيمة ساحقة على يد السلطان السلجوقى ألب أرسلان سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م فى **معركة مانزيكرت** وإستجابة البابا إربان الثانى لهذه الإستغاثة التى جددها الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م بالدعوة للحملات الصليبية وتوجيهها إلى بلاد الشرق الإسلامى فى مجمع كليرمونت بفرنسا ذلك العام.

وقد جاء عدد هذه الحملات الصليبية بسبع حملات قادها بعض ملوك وأباطرة أوروبا كانت أولاها سنة ١٠٩٧ م وآخرها كان ١٢٤٩م وكان جلاء الصليبيين نهائيا عن الشام سنة ١٢٩١م.

الحملة الصليبية الأولي:

بدأت هذه الحملة بمسيرة شعبية كبيرة قادها راهب يدعى بطرس الناسك فى يوم سبت النور ١٢ أبريل ١٠٩٦ م وسميت حملة العامة.

وتكونت هذه الحملة من خمسة عشر ألفا من الأتباع المتحمسين ومن فئات مختلفة على أن معظمهم كانوا من «الفلاحين - قليل من سكان المدن - صغار النبلاء - قطاع الطرق - المجرمين» ولم تكن الرابطة التى تجمعهم جميعا سوى الحماس الديني.

وفى الوقت الذى كان بطرس الناسك ماضيا فى دعوته فى الغرب الأوروبى ظهر زعيم آخر من زعماء العامة واسمه والتر ويلقب «بالمفلس».

وقد قاد المفلس أتباعه عبر بلاد المجر ثم أراضى الدولة البيزنطية وقد قام أتباعه بالنهب والسلب والإعتداء على أهالى البلاد المسيحيين الآمنين أثناء عبور بلادهم.

ومع ذلك رحب الحكام البيزنطيون فى البلقان بهذه الجموع التى شقت طريقها إلى صوفيا وأدرنة حتى بلغت القسطنطينية فى يوليو ١٠٩٦م، أما بطرس الناسك وأتباعه فقد وصلوا القسطنطينية فى نفس العام حيث وجدوا والتر المفلس وجموعه فى انتظارهم.

ولقد صارع الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين بنقل جموع الصليبيين إلى الشاطئ الآسيوى للبسفور ليتخلص من أعمال النهب والسلب والاعتداء على الأهالى التى قامت بها هذه الجموع الصليبية وعبرت جموع الصليبيين البسفور فى أغسطس ١٠٩٦م وقد تخلف بطرس الناسك فى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور البيزنطي.

وزحف الصليبيون وعدتهم خمسة وعشرون ألفا على بلدة نيقية وهى من أعمال السلاجقة وقاعدة السلطان السلجوقى قلج أرسلان، وهنالك التقت قواتهم بقوات السلاجقة التى أوقعت بهم هزيمة ساحقة حتى إنه لم ينج من الصليبيين إلا نحو ثلاثة آلاف وحين سمع الإمبراطور البيزنطى نبأ الكارثة التى حلت بالصليبيين سارع بإرسال بعض سفن لتحمل فلول الناجين من المنهزمين إلى القسطنطينية حيث ظلوا هنالك تحت رعايته حتى وصول حملة الأمراء.

ولقد تلت حملة العامة التى فشلت فى مهمتها ولقيت الهزيمة على يد السلاجقة المسلمين حملة قام بها أمراء أوروبيون عام ١٠٩٧م وهى فى حقيقتها قد تقسمت إلى عدة حملات صليبية نظامية كان لكل منها قادتها ورجالها ومقصدها الخاص، وقد نجحت هذه الحملة فى تحقيق ما لم تنجح فيه حملة العامة من إحراز النصر على المسلمين وتكوين الإمارات الصليبية فى بلاد الشام فتكونت من أربع مجموعات وهي:

(أ) المجموعة الأولى بقيادة جودفرى بوايون أمير لوترنجيا وأخوه بلدوين البولوني.

(ب) المجموعة الثانية بقيادة بوهيموند النورماندي.

(ج) المجموعة الثالثة بقيادة ريموند من إقليم بروفانس.

(د) المجموعة الرابعة بقيادة روبرت أمير نورماندیا

وكان خط سيرهم من بلدانهم إلى شرق أوروبا حتى إذا وصلوا القسطنطينية تعهد كل منهم للإمبراطور بالطاعة والولاء مقابل تعهد الإمبراطور لهم بتقديم كل المساعدة والسماح لهم بنقل القوات إلى الشاطئ الآسيوي. ونجحت قوات حملة الأمراء فى هزيمة أمير السلاجقة قلج أرسلان وإستعادة الدولة البيزنطية مدينة نيقية بعد ستة عشر عاما من إحتلال السلاجقة، لها ودفع هذا الإنتصار القوات الصليبية إلى التوغل فى آسيا الصغري، وإنضمت إليهم بعض القوات البيزنطية. ونجح الفريقان فى هزيمة قوات السلاجقة، ولقد وضع قلج أرسلان خطة عقب الكارثة التى حلت بجيوشه إستهدفت الإنسحاب إلى الداخل وإخلاء المدن أمام القوات الصليبية المهاجمة التى استولت على مدينة قونية دون قتال. وبعد أن إستراح الصليبيون أيام قليلة فى هرقلة إنقسموا إلى شعبتين فإنشق تنكرد ومعه بلدوين شقيق جودفري، وإتجهو نحو قليقية جنوب شرقى آسيا الصغرى فى حين اتخذت الشعبة الثانية بقيادة جودفرى وبوهيموند - وريموند طريقا شماليا شرقيا وإتجه الصليبيون إلى الشام ونزلوا إلى نهر العاصى شرقى أنطاكيا فى أكتوبر ١٠٩٧م وبذلك بدأ الغزو الصليبى للشام.

قراءات تاريخية

ذكر ستيفن رانسيمان - وهو من كبار المؤرخين للحروب الصليبية - الفظائع التى ارتكبها الصليبيون حين فتحو بيت المقدس فى حملتهم الصليبية الأولى فى كتاب تاريخ الحروب الصليبية ترجمة السيد الباز العرينى طبعة بيروت ١٩٦٧ ما يلي:

زاد فى جنون الصليبيين ما أحرزوه من نصر كبير بعد شقاء وعناء شديد وانطلقوا فى شوارع المدينة، وإلى الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز، واستمرت المذبحة طوال ذلك اليوم وطوال الليل وفى صباح اليوم التالى اقتحم الصليبيون المسجد «الأقصي»، وأجهزوا على جميع اللاجئين إلى المسجد، وحينما توجه ريموند «الأمير ريموند» فى الضحى لزيارة ساحة المسجد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التى بلغت ركبتيه، وقد أدت مذبحة بيت المقدس إلى خلو المدينة من سكانها. وعن فظائع الصليبين عند فتح بيت المقدس ١٤، ١٥ يوليو ١٠٩٩م أورد الدكتور سعيد عاشور فى كتابه «الحروب الصليبية» الجزء الأول القاهرة ١٩٨٦ قوله؟: ارتكب الصليبيون جريمة بشعة فى بيت المقدس وقتلوا آلاف الأبرياء من المسلمين بغير ذنب ذلك أن الصليبين لم يتركوا مسلما فى الطرقات، أو البيوت، أو المساجد إلا قتلوه واستباحوا دمه دون أن يفرقوا بين رجل وامرأة وطفل - ولم يرع الصليبيون حرمة المسجد الأقصى فأجهزوا على كل من احتمى به من المسلمين وعددهم يزيد على سبعين ألف منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم - ولم يحاول المؤرخون الصليبيون أنفسهم إنكار الحقيقة فذكر وليم الصورى أن بيت المقدس شهد عند دخول الصليبيين مذبحة رهيبة حتى أصبح البلد مخاضة واسعة من دماء المسلمين أثارت رعب الغزاة واشمئزازهم كذلك ذكر مؤرخ صليبى آخر حضر تلك الأحداث أنه عندما زار الحرم الشريف غداة المذبحة لم يستطع أن يشق طريقه وسط أشلاء المسلمين إلا فى صعوبة بالغة، وأن دماء القتلى بلغت ركبتيه.

تأسيس الإمارات الصليبية فى بلاد الشام:

نجحت الحملة الصليبية الأولى بعد إنتصار قواتها على المسلمين فى إقامة أربع إمارات صليبية شكل (١٩) هي: الرها، وأنطاكية، وطرابلس، وبيت المقدس. وكانت إمارة الرها أول هذه الإمارات التى كونها الصليبيون، وكان بلدوين أول أمرائها، ثم تأسست إمارة أنطاكية الصليبية، وذلك حين اتجه بوهيموند النورماندى بقواته إلى أنطاكية، وقام بحصارها لمدة تسعة شهور إلى أن سقطت.

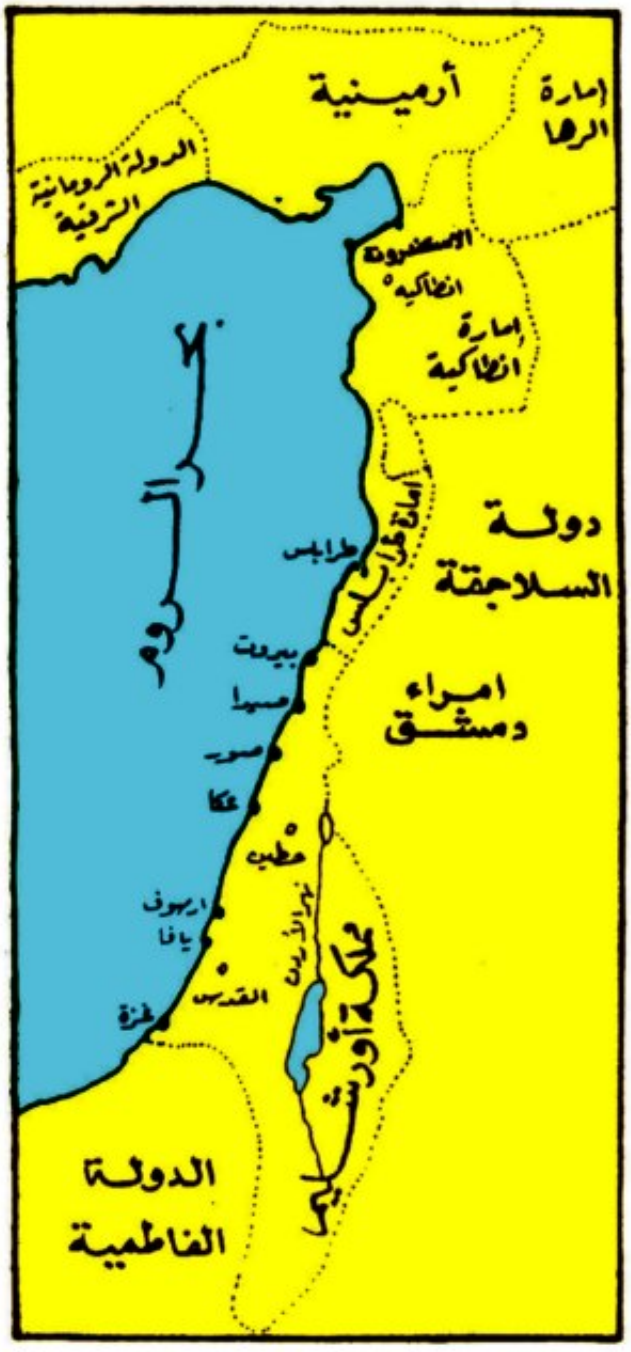

شكل رقم (١٩)

الإمارات الصليبية فى الشام بعد الحملة الصليبية الأولى

فظائع الصليبين فى بيت المقدس:

وكانت مملكة بيت المقدس هى ثالث الإمارات التى كونها الصليبيون فى الشام بعد استيلائهم على المدينة المقدسة يوم الجمعة ٢٢ شعبان ٤٩٢ هـ/ ١٥ يوليو ١٠٩٩م بعد حصار لها دام أربعين يوما، وبعد أن عجزت حاميتها عن الدفاع عنها ولقد ارتكب الصليبيون أثناء فتحهم المدينة الكثير من الفظائع واستباحوا دماء من بها من المسلمين، واليهود، والمسيحيين المخالفين لهم فى المذهب من الرجال، والنساء، والأطفال، ولم يراع أولئك المهاجمون ما للمسجد الأقصى من حرمة فانتهكوا حرمته وقتلوا كل من لاذ به من المسلمين، ولقد أجمعت المصادر الإسلامية، والمسيحية على همجية الجند الصليبيين.

وعلى دموية غزوهم حتى أن أحدها ذكر أن هذه القوات كانت تخوض فى دماء القتلى فى شوارع المدينة المقدسة وإن قائد الحملة أقام فيها حمام دم لأهل الملل الثلاثة، وأن رجاله إنطلقوا فى شوارعها يقتلون كل من يصادفهم من أهلها من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز، وأن المذبحة استمرت طوال يوم الغزو وطوال الليل، ولقد نصب جودفرى ملكا على إمارة بيت المقدس، وبعد قتله فى ديسمبر ١١٠٠م استدعى الصليبيون شقيقه بلدوين من إمارة الرها وتوجوه فى كنيسة العذراء بالقدس ملكا على بيت المقدس، وبسقوط بيت المقدس فى يد الصلبيين تكون هذه القوات الأوروبية الغازية للشرق الإسلامى قد حققت الهدف المعلن من وراء هذه الحملات التى شنتها على هذه البلاد.

وجاءت إمارة طرابلس آخر الإمارات الصليبية فى الشام، وذلك حين سقطت هذه المدينة المنيعة فى أيدى الصليبيين فى ذى الحجة ٥٠٣ هـ/ يوليو ١١٠٩م.

الحملة الصليبية الثانية:

كان لنجاح الغزو الصليبى لبلاد العالم الإسلامى وقع أليم فى نفوس المسلمين، وكان سقوط بيت المقدس فى يد الصليبيين أهم دوافع الجهاد الدينى وأهم عوامل يقظة المسلمين وعملهم على استرداد الأماكن المقدسة واستخلاصها من أيادى المعتدين الأوروبيين، وكان الخلاص على يد السلاجقة، ومن بعدهم سلاطين الأيوبيين والمماليك.

دور عماد الدين زنكى فى صد الحملات الصليبية:

وكان عماد الدين زنكى حاكم حلب والموصل أول هؤلاء الزعماء السلاجقة الذين تصدوا للعدوان الصليبي، وقد نجح بضمه حمص وبعلبك إلى دولته أن يكون جيشا قويا استطاع بواسطته أن يهزم قوات أول وأقوى إمارات الصليبيين ويستولى عليها، وهى إمارة الرها ديسمبر ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م. وأصبح بعد ذلك من أكبر القوى الإسلامية التى باتت تهدم أحلام الصليبيين فى بلاد الشرق الإسلامى حتى وفاته سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م.

ولقد أثار سقوط الرها فى يد المسلمين الروح الصليبية فى الغرب، وقام البابا بالدعوة لحملة صليبية جديدة تستهدف استرداد الرها وسارع ملوك أوروبا وقادتها إلى تجهيز هذه الحملة وإنفاذها سنة ١١٤٧م، وهى الحملة التى عرفت بالحملة الصليبية الثانية، وتألفت هذه الحملة من جيشين كبيرين ينتميان إلى أكبر دولتين فى الغرب الأوروبي، ويقودها أكبر عاهلين فى العالم الكاثوليكى آنذاك، وهما كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا

والتقى كونراد فى نيقية بملك فرنسا لويس السابع، ولم يشأ لويس أن يعرض جيشه لخطورة

الحرب مع الزنكيين وإستعادة الرها من أيديهم فاتجه بقواته تحت تأثير أمراء بيت المقدس إلى مهاجمة دمشق فى أوائل يوليو ١١٤٨م، وتدفقت النجدات الإسلامية على دمشق من الموصل، وحلب مما أدى إلى خوف الصليبين من هذا التجمع الإسلامى فقرروا رفع الحصار عن دمشق والإنسحاب ولم يلبث الإمبراطور كونراد أن أبحر عائدا إلى أوروبا مبحرا من عكا بينما بقى لويس السابع ستة أشهر فى فلسطين، وغادرها إلى أوروبا فى سنة ١١٤٩م بعد أن تأكد من فشل حملة الصليبيين فى تحقيق أغراضها التى جاءت من أجلها، ولقد أدى فشل هذه الحملة إلى إنحطاط هيبة ومكانة الصليبيين بالشام وازدياد نفوذ المسلمين وإرتفاع روحهم المعنوية، وعندئذ تشجعت القوى الإسلامية فى الشرق وبدأت تعمل على أن تسترد ما سبق أن فقده المسلمون.

لذلك فمن الممكن الجزم بالقول أن الحملة الصليبية الثانية تعتبر نقطة تحول خطيرة لصالح المسلمين فى الحروب الصليبية.

نور الدين محمود وصلاح الدين يوسف بن أيوب ومحاربة الصليبيين:

ورث نور الدين محمود أملاك أبيه وتولى حكمها بعد موته، كما ورث عنه جهاده ضد الصليبيين، ولقد وضع نور الدين نصب عينيه منذ توليه الحكم خطة توحيد الجبهة الإسلامية للإطباق على الصليبيين من كل مكان، وقد قام نور الدين سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م بضم دمشق بعد وفاة حاكمها السلجوقى واتخذها قاعدة له.

وتطلع نور الدين إلى مصر وضمها إلى دولته وخاصة حين استهدفها الصليبيون وإنتهزوا فرصة ضعف الحكم الفاطمى بها، والإضطرابات الواقعة بها وتوجه بلدوين ملك بيت المقدس بقواته إليها ولكن بلدوين توفى وهو فى طريقه إلى القاهرة فإضطرت قواته إلى العودة إلى بيت المقدس، ولقد كرر«عموري» الذى خلف بلدوين على عرش مملكة بيت المقدس محاولة غزو مصر مستغلا الصراع بين وزراء الفاطميين فأرسل نور الدين محمود ثلاث حملات إلى مصر لوقف وقوعها فى يد الصليبيين بقيادة قائده أسد الدين شيركوه وإبن أخيه صلاح الدين، وإستطاع شيركوه أن يحسم الأمر فى مصر لنور الدين، وأن يتولى الوزارة للخليفة الفاطمى العاضد آخر خلفاء الفاطميين، وتحقق بذلك حلم نور الدين إلا أن المنية وافته قبل إنجاز مشروعه الذى تم إنجازه على يد صلاح الدين.

صلاح الدين الأيوبى وجهاده ضد الصليبيين:

وورث صلاح الدين عن نور الدين الجهاد ضد الصليبيين بعد أن نجح هذا القائد فى تولى الوزارة فى مصر للخليفة العاضد بعد وفاة عمه شيركوه، وبعد أن إستطاع أن يلغى من مصر الخلافة الفاطمية

ويعيدها لتبعية الخلافة العباسية كذلك بعد أن استقل بحكم مصر عن تبعية سيده نور الدين، وموت نور الدين، وتملك صلاح الدين لمتلكاته فى الشام وضمها لدولته الأيوبية التى أقامها فى مصر، وبذلك وضع صلاح الدين الصليبيين بين شقى الرحي، وأقام الجبهة الإسلامية المتحدة لجهاد الصليبيين الذى نذر نفسه له.

وكان صلاح الدين قد عقد **هدنة** مع بلدوين الرابع ملك بيت المقدس سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، وكان من **أهم شروطها** التى التزم صلاح الدين بتنفيذها شرط حرية التجارة بين مصر والشام، وقد تعرض هذا الطريق للأخطار بسبب الاقتتال بين المسلمين والصليبين كذلك ازدادت الأخطار فيه بعد أن تولى مغامر فرنسى صليبى هو **الأمير رينودى شاتيون**، والذى عرفه المسلمون باسم **أرناط** إمارة الكرك «الواقعة فى بلاد الأردن الآن» فى منتصف هذا الطريق، وقد أقام أرناط بنقض هذه الهدنة، وفرض الإتاوة على القوافل التى تجتاز الكرك فتوترت بسبب ذلك العلاقات بين المسلمين والصليبيين وحاول أرناط من حصنه شن الغارات المخربة على البحر الأحمر، وعلى موانيه الإسلامية، وقطع الطريق على الحجاج المسلمين إلى الأراضى المقدسة، وما كادت أخبار هذه المحاولات تصل إلى صلاح الدين الذى كان آنذاك فى بلاد الشام حتى أرسل إلى نائبه على مصر أخيه الملك العادل سيف الدين بالتصدى لأرناط وتحطيم سفنه فى البحر الأحمر، وبالفعل أرسل العادل أسطوله بقيادة الأمير حسام الدين لؤلؤ الذى نجح فى الظفر بمراكب الصليبيين وأسر من فيها سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م.

ومع مطلع سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٦م كان صلاح الدين جاهزا لتحقيق غرضه فى محاربة الصليبيين ولم يبق له إلا أن ينتظر الفرصة السانحة للقيام بذلك وكان قد عقد معاهدة مع ملك بيت المقدس فى هذا العام والتزم بشروطها إلا أن أرناط الذى كان شريكا فى هذه المعاهدة قام بنقضها فأعطى فرصة الهجوم لصلاح الدين ففى أواخر سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٧م هاجم أرناط قافلة للمسلمين كانت فى طريقها من القاهرة إلى دمشق وإستولى على ما بها، وقد كانت إحدى قريبات صلاح الدين ضمن هذه القافلة فأرسل صلاح الدين إلى أرناط يطلب منه إطلاق سراح الأسرى ورد ما أخذه منهم إلا أن أرناط امتنع وأصر على عصيانه فغضب صلاح الدين ونذر أن يقتل أرناط بيده، إذا وقع فى قبضته جزاء لما قدمت يداه فإنتقضت بذلك الهدنة القائمة بين صلاح الدين وملك بيت المقدس.

وأعلن صلاح الدين الجهاد الديني، وأرسل إلى سائر الأطراف يطلب العسكر فجاءته من كل مكان فى دولته الكبيرة، وخرج من دمشق فى المحرم من سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٧م وإجتمعت هذه القوات تحت قيادة صلاح الدين وأصدر الملك الصليبى جاى لوزجنان الأمر بمسير قوات الصليبيين إلى طبرية لإنقاذها، وتركوا بذلك مواقعهم الحصينة على هضبة مرتفعة عند عين صفورية ونزلوا إلى وادى حطين فى طريق طبرية، وكان صلاح الدين قد إنسحب بجيشه من طبرية وإعتلى جيشه تلال حطين، وبدأت

معركة حطين بين المسلمين والصليبيين صباح يوم السبت الموافق ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣هـ / ٤ يوليو ١١٨٧ م واشتد الضرب وإستعر القتال وحصرت جيوش الصليبيين بين حر القتال وحر الجو وحر الظمأ وهزموا فى هذه المعركة هزيمة ساحقة، فقتل منهم العدد الكبير، كما أسرت منهم أعداد هائلة، وكان فى مقدمة الأسرى جاى لوزجنان ملك بيت المقدس وأرناط وغيرهم من كبار أمراء الصليبيين، وقد أطلق صلاح الدين سراح ملك بيت المقدس لكنه قتل أرناط وفاء لنذره العهد وتعنته وإصراره على إيذاء المسلمين.

وتوجه صلاح الدين بعد معركة حطين إلى طبرية وإستولى عليها، وقام بفتح عكا والناصرة وقيسارية، وحيفا، وصفورية، والشقيف، ونابلس، وصيدا، وبيروت، وجبيل، والرملة، وبيت لحم، والخليل، وعسقلان، ولما فرغ صلاح الدين من الإستيلاء على عسقلان توجه إلى بيت المقدس، وكان قد اجتمع بها عدد كبير من الصليبيين الذين نجوا من معركة حطين وتحصنوا بها وعزموا على الدفاع عنها لما لها من قدسية عندهم.

وعرض صلاح الدين على أهل بيت المقدس التسليم على نفس الشروط التى إستسلمت بها بقية المدن التى كانت للصليبيين فى فلسطين، لكنهم رفضوا الإستسلام أول الأمر، وحين أدركوا عدم جدوى المقاومة طلبوا الصلح، فقبل صلاح الدين أن يعطى الصليبيين الأمان على أن يغادر المدينة من الرجال من يستطيع دفع عشرة دنانير، ومن النساء من تستطيع دفع خمسة دنانير، وذلك خلال أربعين يوما

وفى يوم ذكرى ليلة الإسراء والمعراج يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ / ١٢أكتوبر ١١٨٧م دخل صلاح الدين بيت المقدس، وأظهر التسامح والعفو مع أهلها ما جعل المؤرخين المسلمين وغير المسلمين يذكرونه بالثناء والتقدير، ولقد أمَّن صلاح الدين سكان المدينة جميعهم على أرواحهم ووزع جنوده فى شوارع المدينة وأحيائها ليحفظوا الأمن والنظام بها ويحفظوا أرواح سكانها فلم يقع حادث واحد من حوادث السرقة والنهب التى تلازم الفتح عادة، ولم يشأ صلاح الدين أن يفعل مع المسيحيين، واليهود مثلما فعل الصليبيون الأول من ضروب التوحش والإبادة التى وقعت على سكان القدس، فلقد كانت رحمته وعطفه وتسامحه على نقيض أفعال الغزاة الصليبيين فى الحملة الصليبية الأولي، وعادت بهذا الفتح المدينة المقدسة ليد المسلمين كسابق عهدها بعد أن ظلت فى يد الصليبين قرابة التسعين عاما

الحملة الصليبية الثالثة:

انتقل ملك بيت المقدس بعد أن أطلق صلاح الدين سراحه بعد معركة حطين إلى صور، وهناك خالف وعده لصلاح الدين بألا يحارب المسلمين، واتفق مع حاكم صور على حشد القوات لإسترداد البلاد التى استولى عليها صلاح الدين من الصليبيين، وقام جاى بإرسال البعوث إلى ملوك غرب أوروبا

يستنجد بهم لاستعادة بيت المقدس من يد المسلمين، واستطاع بذلك أن يؤلب الصليبين فى هذه البلاد، الذين حشدوا القوات لحرب المسلمين وإعداد حملة صليبية هى الحملة الصليبية الثالثة، وقد قاد هذه الحملة ثلاثة من أبرز ملوك أوروبا آنذاك، وهم، فردريك بربا روسا إمبراطور ألمانيا، وفيليب أغسطس ملك فرنسا، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وخرجت قوات هذه الحملة من بلادها متوجهة إلى عكا، ظنًا منهم أن الاستيلاء على عكا يفتح الطريق أمامهم إلى بيت المقدس ونزلت هذه القوات عكا وأحكمت الحصار حولها

وحاول صلاح الدين أن ينقذ عكا من قبضة الصليبيين فلم يستطع ذلك، ولما رأى خطورة الموقف أمر بتدمير استحكامات طبرية، ويافا وأرسوف وصيدا حتى لا تقع فى يد الصليبيين، وفى نهاية مارس ١١٩٠ م عبر فردريك بربا روسا بقواته إلى شواطئ آسيا الصغرى لكنه غرق فى نهر هناك، ولم يصل عكا من جيشه الكبير سوى ألف رجل انضمت للقوات الصليبية هناك، وفى نفس الوقت، وصل الملك ريتشارد قلب الأسد والملك فيليب أغسطس إلى عكا

نجح الصليبيون فى الإستيلاء على عكا وسقوطها فى أيديهم سنة ٥٨٧هـ ١١٩١م، وسرعان ما عاد الملك الفرنسى إلى بلده فرنسا بسبب مرضه تاركًا للملك ريتشارد مواجهة قوات صلاح الدين، وعند أرسوف حقق ريتشارد إنتصارا محدودا على قوات صلاح الدين لكنه راسل صلاح الدين بطلب الصلح بسبب مرضه بالحمي، وهو فى يافا، وتم الصلح بين صلاح الدين وريتشارد الذى عرف **بصلح الرملة** فى ٢٢ شعبان ٥٨٨ هـ سبتمبر ١١٩٢م، وجاءت شروط الصلح كالتالى :

قراءات تاريخية

جاء فى كتاب «فى التاريخ الأيوبى والمملوكي» لمؤلفه الدكتور أحمد مختار العبادى عن تسامح صلاح الدين ومروءته عندما حرر بيت المقدس وفتحها ما يلى:

واتجه صلاح الدين نحو بيت المقدس وحاصرها حصارًا شديدًا حتى اضطر أهلها إلى التسليم فدخلها فى ٢٧ من رجب ٥٨٣ هـ ١١٨٧م ليلة الإسراء والمعراج

وكانت الشروط التى فرضها صلاح الدين على المدينة فى غاية التسامح والكرم لدرجة أن بعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين قال فى هذا الصدد

ولم تتجل عظمة صلاح الدين مثلما تجلت عند تسليم المدينة الخالدة

وهذه العبارة فى الواقع تتضمن حقائق ومعانى كثيرة لأن صلاح الدين لم يستغل انتصاره للتمثيل بأعدائه، كما مثل الصليبيون بالمسلمين حينما فتحوا القدس سنة ١٠٩٩م، بل تركهم يغادرون المدينة بأمتعتهم وأموالهم بعد دفع فدية معتدلة، أما الفقراء فقد تركهم يرحلون دون دفع الفدية المطلوبة، وأما النصارى الشرقيون من أهل المدينة فقد سمح لهم بالبقاء مع المسلمين

ولم يحاول صلاح الدين هدم الكنائس، بل تركها، وعلى رأسها كنيسة القيامة واكتفى بإعادة المساجد التى حولت إلى الكنائس ولا سيما المسجد الأقصى الذى كان الفرنجة قد حولوه إلى كنيسة وأطلقوا عليها معبد سليمان، وهذا يدل على أن صلاح الدين لم يكن يحارب الدين المسيحي، بل كان يحارب السياسة الأوروبية الاستعمارية

- أن تكون مدة الصلح ثلاث سنوات
- أن يحتفظ الصليبيون بما سيطروا عليه من بلاد فى المنطقة الساحلية من صور إلى يافا
- أن يكون للصليبيين قساوسة فى بيت المقدس، وأن يعاد إليهم صليب الصلبوت
- أن تكون للمسيحيين حرية الحج إلى بيت المقدس دون دفع أى ضريبة مقابل ذلك
- أن تكفل الحرية للمسلمين وللمسيحيين فى أن يجتازوا أرض بعضهم بعضًا

وبذلك إنتهت الحملة الصليبية الثالثة التى فشلت فى تحقيق الهدف الذى قامت من أجله، وهو استرداد بيت المقدس من يد المسلمين، وتوفى صلاح الدين يوم الأربعاء ٢٧ صفر ٥٨٩ هـ / مارس ١١٩٣م، وكانت وفاته خسارة كبرى للإسلام، وإن كانت مكانته فى تاريخ الجهاد الإسلامى حية إلى الأبد لا تموت.

الحملة الصليبية الرابعة « ١٢٠٢ - ١٢٠٤ م»:

لم ترض البابوية و على رأسها البابا أنوسنت الثالث عن نتائج الحملة الصليبية الثالثة فعز عليه ان يظل بيت المقدس فى أيدى المسلمين لذلك قام بالدعوة للحملة الصليبية الرابعة فى منتصف عام ١١٩٨م وسرعان ما أخذت الإستعدادات للحملة الرابعة تسير سيرا سريعا بفضل جهود جماعة من المتحمسين والدعاة وتعد هذة الحملة حملة أمراء اذ اشترك فيها وتولى قيادتها عدد كبير من الامراء الفرنسيين

واستقر الرأى على أن تكون مصر هى واجهه الحملة الصليبية الرابعة لأسباب من بينها أن مصر مركز المقاومة الحقيقى ضد الصليبيين بالشام كما أنها المخزن الذى استمد منة الأيوبيون مواردهم البشرية والمادية فى محاربة الصليبيين هذا إلى جانب قيام العادل بتوحيد الدولة الايوبية مما جعل من الخطورة على الصليبين أن يتجهوا نحو حصار بيت المقدس فيعرضون أنفسهم للوقوع بين شقى الرحى أى بين قوات العادل سواء فى مصر أم فى دمشق هذا إلى جانب وجود عدد كبير من التجار الإيطاليين فى الموانيء المصرية وخاصة ميناء دمياط والإسكندرية وهؤلاء سوف يتعرضون لإنتقام القوات المصرية إذا ما هاجم الصليبيون بيت المقدس وعلى هذا فمن الأحرى مهاجمة مصر نفسها ٠

وبعد أن حدد الصليبيون وجهة الحملة كان عليهم أن يعدو ا السفن اللازمة لنقلهم إلى الشواطيء المصرية ولهذا اتصلوا بالبندقية وعقدوا معها اتفاقا بهذا الشأن سنة ١٢٠١م وفى العام التالى ١٢٠٢م إحتشد الصليبيون فى البندقية لتنقلهم على ظهور سفنها إلى مصر ولكن عجز الصليبيون عن دفع ثمن تلك السفن وهنا انتهزت البندقية هذة الفرصة لمساومة الصليبيين وطلبت منهم مساعدتها فى

مهاجمة مدينة تدعى زارا وتقع على الشاطيء المقابل للبحر الادرياتى ولقاء ذلك تنقلهم إلى مصر وقبل الصليبييون هذا العرض وهاجموا مدينة زارا المسيحية ونهبوها وبذلك إنحرفت الحملة الرابعة إلى زارا، وفى نفس الوقت حدث أن قامت ثورة فى القسطنطينية إنتهت بخلع الامبراطور البيزنطى إسحق الثانى وفرار إبنه إلكسيوس الثالث إلى الغرب طالبا المساعدة من الصليبيين لاسترداد عرش أبيه وعرض على الصليبيين لقاء مساعدتهم له أن يساعد الصليبيين فى حملتهم على مصر وأن يخضع الكنيسة الشرقية للبابوية فإرتضى البابا وكذلك الصليبييون والبندقية بهذا العرض ٠

وإتجهت الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية بدلا من أن تتجة نحو مصر ونجح الصليبييون فى الاستيلاء على القسطنطينية وأعملوا فيها السلب والنهب والتدمير وقتلوا كل من صادفهم من رجال ونساء وأطفال ولم تسلم من أيديهم الكنائس والأديرة فاقتحموا كنيسة أيا صوفيا وهم سكارى ومزقوا ستائرها وداسوا الكتب المقدسة بأقدامهم مما يدل دلالة صريحة على أنحراف الحركة الصليبية عن هدفها الأساسى ورسالتها الدينية.

الحملةالصليبية الخامسة (١٢١٨-١٢٢١م)

ونظرا لإنحراف الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية كان لابد من الدعوة لحملة صليبية أخرى وإرسالها إلى مصر لتحقيق هدف الصليبيين فى الاستيلاء عليها ٠

وقام بالدعوة لهذه الحملة نفس البابا الذى دعا للحملة الرابعة وهو البابا انوسنت الثالث بعد أن شعر بخيبة أمل كبيرة لانحراف الحملة الرابعة عن مصر إلى القسطنطينية وعقد مؤتمر والقى فيه خطبة عبر فيها عما تقاسية مدينة بيت المقدس من انتهاك للأماكن المقدسة من جانب المسلمين وانتهى هذا المؤتمر بالإتفاق على أن تكون مصر هى وجهة الحملة الصليبية الجديدة وتحدد يونيو ١٢١٧ م موعدا للإبحار إلى مصر ٠

ومنح البابا انوسنت الثالث امتيازات هامة للمشتركين فى هذه الحملة منها الغفران التام من الخطايا لكل من يقدمون سفنهم لنقل الصليبيين إلى الشرق وإعفاء من سيشتركون فى الحملة من دفع الضرائب المقررة عليهم وتأجيل دفع ما عليهم من ديون ووضع أملاكهم تحت حماية الكنيسة لحين عودتهم ٠ على أن الموت لم يمهل أنوسنت الثالث ليرى نتيجة جهودة فى الدعوة لهذه الحملة ٠

وسرعان ما خرجت الحملة من الغرب واتجهت إلى بلاد الشام حيث تجمع الصليبييون فى عكا وهناك أمن قائد الحملة (حنا دى برين) بفكرة الهجوم على مصر وعقد مجلسا لبحث الأمور الخاصة بهذا الهجوم وتقرر أن تكون دمياط هى المكان الذى تبدأ الحملة بالاستيلاء عليه وأيد هذه الفكرة جمهرة الصليبيين المجتمعين ببلاد الشام ٠

وعندما اكتملت إستعدادات الصليبيين فى الشام ترك حنا دى برين حامية قوية فى عكا للدفاع عنها ضد أى هجوم من جانب المسلمين ثم خرج على رأس الأسطول الصليبى قاصدا دمياط

(مايو ١٢١٨م) وعندما وصلت السفن الصليبية إلى مصب فرع دمياط أقام الصليبيون معسكرهم على الضفة الغربية للنيل فى مواجهة دمياط ٠ ووجد الصليبيون أن دمياط محصنة تحصينا قويا فقد كان يحيط بها سور وخندق كما كانت تمتد بعرض مجرى النيل سلاسل ضخمة من الحديد تحول دون دخول المراكب المعاديةمن البحر إلى النيل هذا إلى جانب برج السلسلة الذى كان يحرسة رجال أشداء مزودين بالسلاح والعتاد ٠ لذلك كان الصليبيين لكى يستولوا على دمياط عليهم أن يحطموا السلسلة أولا ثم يستولوا على برجها ٠

وأرسل اهل دمياط إلى الملك الكامل – الذى كان ينوب عن أبيه العادل فى حكم مصر بعد أن إتجه الأخير إلى الشام لعلمه بنزول الصليبيين فى عكا ٠ وأسرع الكامل على الفور بالخروج على رأس جنده وأقام معسكرا جنوب دمياط ليكون على اتصال مباشر بالمدينة وليمنع الصليبيين من العبور اليها ٠ وخرج الأسطول فى نفس الوقت واتخذ طريقة فى النيل ليمنع الصليبيين من الإستيلاء على برج السلسلة وقطع تلك السلسلة التى تمتد بعرض النيل ٠

ويقال أن الملك العادل عندما سمع بذلك الخبر مرض فى ساعته ولم يلبث أن توفى وحمل ابنه الكامل عبء الدفاع عن مصر وإبعاد الصليبيين عنها ٠

وبذل السلطان الكامل كل جهده فى سبيل عرقلة تقدم الصليبيين ٠ وبفضل ذلك تمكنت دمياط من الصمود تسعة أشهر أخرى قاومت خلالها جميع الجهود التى بذلها الصليبيون للإستيلاء عليها إلا أن الصليبيين ما لبثو ا أن شددوا الحصار على دمياط ونتيجة لذلك حدثت مجاعة داخل البلد وانتشر الوباء بين أهلها فمات كثير منهم وعندئذ اضطرت المدينة للتسليم فى نوفمبر ١٢١٩م ٠ وقام فيها الصليبيين بأعمال السلب والنهب والأسر لكل من صادفوه ممن بقى من أهالى هذه المدينة كما أحالوا مسجدها لكنيسة ٠

وأظهر الكامل روح المسالمة وفتح مع الصليبيين باب المفاوضات وعرض عليهم عرضا سخيا مضمونة : أن يتنازل لهم عن جميع الأراضى التى كانت تابعة لهم قبل حطين وما تلاها من فتوحات قام بها صلاح الدين فيما عدا قلعتى الكرك والشوبك وأن يتم عقد هدنه بين المسلمين والصليبيين لمدة ثلاثين عاما ولقاء ذلك يجلو الصليبيين عن دمياط ٠ ولكن رفض الصليبيون هـذا العـرض لاعتقادهم فى سهولة الاستيلاء على مصر ٠ وأخذوا يواصلون زحفهم على الشاطيء الشرقى للنيل وذلك فى أغسطس ١٢٢١م وكان الفيضان على أشده فى ذلك الوقت فضلاً عن حرارة الجو مما يدل على جهل الصليبيين بطبيعة أرض مصر ونيلها ٠

ولمواجهة الصليبيين أرسل الكامل أولاً بعض السفن عن طريق فرع رشيد ودخلت هذه السفن إلى فرع دمياط عن طريق البحر وأصبحت بذلك خلف سفن الصليبيين وقطعت عليهم بذلك طريق العودة إلى قاعدتهم فى دمياط كما أرسل الكامل ألفى فارس مع آلاف من العربان ليحولوا بين الصليبيين وبين الاتصال بدمياط عن طريق البر ثم أمر بقطع السدود وفتح الترع المليئة بمياه الفيضان من كل ناحية وعندما حاول الصليبيون العودة إلى دمياط بحراً إصطدموا بسفن الكامل وبراً إصطدموا بفرسانه وبالعربان ٠ وهكذا أصبح موقف الصليبيين عسيراً وأضطروا إلى طلب الصلح وأبدوا إستعدادهم للجلاء عن دمياط وتسليمها للكامل بل والخروج نهائياً من مصر لقاء إنقاذهم من هذا الموقف الذى أصبحوا فيه ورحب الكامل بهذا العرض ٠

وأخيرا تم جلاء الصليبيين عن دمياط فى سبتمبر ١٢٢١ م ودخلها السلطان الكامل فى اليوم التالى فى حين أبحر الصليبيون الغربيون إلى أوروبا أما **هنا دى برين** فقد عاد هو ورجاله الى الشام يجرون آذيال الخيبة والعار٠

الحملة الصليبية السادسة(١٢٢٨-١٢٢٩ م):

كان التضامن القوى والارتباط الوثيق بين أبناء العادل الثلاثة (الكامل والمعظم عيسى والأشرف موسى) عقب وفاة أبيهم – واحداً من الأسباب الهامة التى أدت إلى الإنتصار على الصليبين والقضاء على الحملة الصليبية الخامسة على مصر ٠ على أن هذا التحالف لم يلبث أن إنفصمت عراه فى نهاية عام ١٢٢٣م وبداية عام ١٢٢٤ م وحدث خلاف وصراع بين الأخوه الثلاثة ٠ وتكمن خطورة هذا الصراع فى إلتجاء الأطراف المتنازعه إلى الإستعانة بالقوى الخارجية وأرسل المعظم إلى جلال الدين وأطمعه فى بلاد أخيه الأشرف وعندئذ أستعد الكامل للزحف على بلاد الشام وبدأ يتطلع للبحث عن قوة خارجية لمواجهة أطماع أخيه المعظم وحلفائه فوجد ضالته المنشودة فى شخص الإمبراطور فردريك الثانى إمبراطور ألمانيا ٠

وأرسل الملك الكامل إلى فردريك الثانى رسولاً من قبله يدعوه للحضور إلى الشام لمساعدته ضد أخيه المعظم عيسى وتعهد له فى مقابل ذلك أن يعطيه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بساحل الشام وكان الكامل يهدف من وراء تسليم بيت المقدس لفردريك أن يتفادى الوقوع فى حرب صليبية جديدة هذا فضلاً عن أنه يكسب صداقة ملك من ملوك الفرنج له مكانته ويأمن خطره٠

ورحب فردريك كل الترحيب بعرض السلطان الكامل واستقبل سفيره بحفاوة بالغة وأعرب عن موافقته على طلبه ٠ والحقيقة أنه كان هناك دافعاً قوياً غير نجدة الكامل هو الذى دفع فردريك إلى أن يرحب بعرض الكامل وهو أن البابوية كانت تضغط عليه ضغطاً شديداً للقيام بحملة صليبية جديدة

بعد فشل الحملة الخامسة ولكن فردريك ظل يماطل البابوية ونتيجة للمماطله فى الخروج بالحملة إلى الشرق أصدر البابا جريجورى التاسع قرار الحرمان ضده فى عام ١٢٢٧ م ٠

وإزاء هذا القرار وهجوم البابوية العنيف ضد فردريك الثانى قرر الأخير القيام بحملة صليبية قاصداً بلاد الشام وهى الحملة التى عرفت فى التاريخ بإسم (الحملة الصليبية السادسة)٠

ولم يكد فردريك يصل إلى عكا فى سبتمبر ١٢٢٨ م حتى كان كام الموقف فى بلاد الشام قد تغير، ذلك أن المعظم عيسى صاحب دمشق والذى كانت أطماعه هى السبب فى إستنجاد الكامل بفردريك كان قد توفى فى أواخر عام١٢٢٧ م ٠ وبوفاته لم يعد السلطان الكامل فى حاجة إلى تلك المساعدة التى طلبها من فردريك الثانى الذى كان فى طريقه إلى الشام ٠ وقام بمراسلة الإمبراطور فردريك وملاطفته وذلك لأنه ليس من مصلحته أن يصطدم بالصليبيين فى الشام فى الوقت الذى تعرض فيه البيت الأيوبى لتهديد من جانب الخوارزمية ومن ورائهم المغول هذا من ناحيةومن ناحية أخرى فهو لايستطيع أن يسلمه بيت المقدس كما وعد لأن فى هذا تفريط فى حقوق المسلمين معناه إثارة الرأى العام فى البلاد الإسلامية ضده ولذلك أستمرت الرسل تتردد بين الكامل وفردريك ٠ وساء موقف فردريك فى الشرق خاصة وأنه خرج من بلاده محروماً من رحمة الكنيسة ومغضوباً عليه من البابا هذا إلى جانب أنه أعتمد على وعد السلطان الكامل بإعطائة بيت المقدس ليصلح من موقفه فى غرب أوروبا ٠

يضاف إلى ماسبق أنه لم يصطحب معه جيشاً كبيراً بل أصطحب معة حرسه الخاص عند خروجه إلى الشام وبالتالى لم يستعد الاستعداد اللازم لقتال المسلمين ٠

لذلك لجأ فردريك إلى أسلوب المفاوضة وإستخدام الوسائل الدبلوماسية ولكن لم يجد هذا الأسلوب ، وعندئذ لجأ فردريك إلى أ سلوب الإستعطاف والتذلل للسلطان الكامل من أجل الحصول على بيت المقدس وأفلح هذا الأسلوب الذى سلكة فردريك الثانى مع الكامل ، فقد وافق الأخيرعلى إعطائه بيت المقدس دون قتال أو حرب ٠

والحقيقة أنه كانت هناك أسباب دفعت الكامل إلى أن يسلم بيت المقدس لفردريك بسهولة من بينها : قيام فردريك الثانى أثناء المفاوضات بتحصين يافا مما جعل الكامل يخشى من تحالف فردريك مع الصليبيين فى الشام للقيام بعمل مشترك ضد المسلمين ، كما أنه لم يكن بإستطاعة الكامل أن يدخل فى حرب ضد الصليبيين ويهدده أبن أخيه الناصر داود من ناحية والخوارزمية من ناحية أخرى ٠ على أى حال فقد نجحت المفاوضات بين الكامل وفردريك الثانى وتم عقد **اتفاقية يافا** فى فبراير ١٢٢٩ م وتقرر بمقتضى هذه الاتفاقية مايلى :

١. أن تكون مدة الصلح بين الطرفين عشر سنوات ٠

٢. أن يعود بيت المقدس للصليبيين بالإضافة إلى القرى التى بين عكا ويافا ٠

٣. أن يطلق سراح أسرى كلا الجانبين ٠

٤. أشترط الكامل بالنسبة لمدينة بيت المقدس أن تظل على ماهى عليه فلا يجدد سورها وأن يكون الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى بأيدى المسلمين، ولايدخله الصليبيون إلا للزيارة ويتولاه جماعة من المسلمين وتقام فيه الشعائر الإسلامية من آذان وصلاه ٠

ولم يرض المسلمون عن هذا الإتفاق الذى جعلهم يتخلون عن بيت المقدس وإعتبروه خسارة كبيرة، ولذلك عم العالم الإسلامى موجه من السخط والحزن ٠ كما لم يرض الصليبيون عن هذا الإتفاق لأنهم حرموا من وصول النجدات من أوروبا وهذا إضعاف لهم، ولا يغنيهم حكمهم لبيت المقدس وحولهم المسلمون، الذين لابد أن يستولوا عليه يوما ماً ٠

الحملة الصليبية السابعة (١٢٤٩-١٢٥٠ م)

إستطاع السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى تولى حكم مصر سنة ١٢٣٩م أن يقضى على الخلافات الداخلية فى البيت الأيوبى وأن يستعيد بيت المقدس فى يوليو ١٢٤٤م، ونتيجة لضياع بيت المقدس من أيدى الصليبيين قامت البابوية تدعو لحملة صليبية جديدة من أجل إستردادها والثأر من المسلمين، غير أن أحوال الغرب فى ذلك الوقت لم تسمح لكثير من ملوك أوربا وأمرائها بأن يلبوا دعوة البابوية، ولم يستجب لنداء البابا سوى لويس التاسع ملك فرنسا، وهو الذى إشتهر بورعه وتقواه حتى لقب بالقديس لويس.

إعداد لويس التاسع للحملة :-

وأخذ لويس التاسع يعد للقيام بتلك الحملة، فكان يدعو إليها بنفسه، ونجح فى أن يكسب عددا كبيرا من بارونات ونبلاء مملكته لمشاركته فى تلك الحملة، والذهاب معه إلى الشرق، ثم سعى لويس لتوفير احتياجات الحملة من السفن البحرية اللازمة لنقل جنوده الى مصر، وقد إستعان بسفن جنوه ومرسيليا ٠ ورفضت البندقية أن تقدم له سفنها لعلاقتها الطيبة مع مصر ٠ وبعد أن إتخذ لويس كافة الإستعدادات لحملته بدأ يستعد للرحيل.

وسرعان ما وصلت أخبار حملة لويس إلى الصالح نجم الدين أيوب فأخذ فى وضع الترتيبات اللازمة لحماية دمياط – التى كانت مقصد لويس التاسع ٠ ومن هذه الإستعدادات التى إتخذها السلطان الأيوبى أنه أمر الأمير فخر الدين يوسف بتجهيز الجيش، والحضور إلى دمياط ليمنع الصليبيين من النزول إليها برا، كما قام بتجهيز الأسطول وشحنه بالرجال والسلاح والعتاد وآلات الحرب، وأرسله إلى دمياط ليتصدى لهجمات الصليبين البحرية ٠

وفى يونيو من عام ١٢٤٩م وصلت الحملة الصليبية السابعة وعلى رأسها الملك لويس التاسع أمام دمياط ، ونزل بجنوده على الضفة الغربية للنيل فى مواجهة دمياط ، وعندئذ تصدت لهم قوات الأمير فخر الدين أتابك العسكر ٠ غير أنه فشل فى مهمته وتمكن لويس من النزول إلى الشاطيء ، وفر فخر الدين ومعظم رجاله ليلا إلى الضفة الشرقية حيث تقع دمياط ٠ وإستولى الرعب والفزع على أهل دمياط حينما رأوا جيش فخر الدين يرحل ليلا ، فتركوا المدينة بدورهم وولوا الفرار وتركوا أبواب دمياط مفتوحة ، ونسوا عند فرارهم أن يقطعوا ذلك الجسر الذى يربط دمياط بالضفة الغربية التى عليها الصليبيين ٠ وهكذا أصبحت مدينة دمياط مدينة مفتوحة خالية من وسائل الدفاع فاستولى عليها الصليبيون بغير قتال فى يونيو ١٢٤٩م

وإزاء الموقف العسكرى الجديد قرر الصالح نجم الدين الرحيل إلى المنصورة واتخاذها خط دفاع أول ، ونقل الى قلعتها على ظهر محفة لمرضه ، ومن هناك أخذ يتابع تنظيم شئون الدفاع ٠ ووصلت سفن الأسطول المصرى وعسكرت فى النيل أمام المنصورة كذلك اجتمع بالمدينة عدد كبير من المتطوعين من أهل مصر والعربان وعامة الناس للجهاد ضد الصليبيين والحيلولة بينهم وبين التقدم نحو القاهرة .

أما الصليبيون فلم يحاولوا أن يستغلوا انتصارهم فى مواصلة فتح باقى المدن المصرية ، وظلوا حوالى خمسة أشهر فى دمياط ، وذلك فى إنتظار وصول نجدات من الغرب ٠ وأفاد المسلمون من تلك الفترة التى قضاها الصليبيون فى دمياط فى تنظيم أنفسهم ، وتقوية إستحكاماتهم .

ووصلت الإمدادات التى كان ينتظرها الملك لويس التاسع (أكتوبر ١٢٤٩م) وعندئذ قرر الصليبيون الزحف نحو القاهرة ٠ ولم يكد لويس التاسع يشرع فى الزحف نحو القاهرة حتى توفى السلطان الصالح نجم الدين أيوب فى نوفمبر ١٢٤٩م وهنا قامت **شجر الدر** زوجة الصالح أيوب بدور بارز حفظه لها التاريخ ، إذ أخفت خبر موت زوجها الصالح أيوب عن سائر الأمراء والجند ، ووضعت جثمان السلطان فى تابوت ، ونقل على ظهر سفينة من المنصورة الى القاهرة حيث دفن فى القلعة بجزيرة الروضة ٠ كذلك حرصت شجر الدر على أن يستمر كل شيء على ما هو عليه وكأن السلطان حى يرزق ، فإستمر الأطباء موجودين بقصر السلطان حتى يظن الناس أنه لا يزال مريضا ٠ وظلت المكاتبات الرسمية تصدر بإسم السلطان وتوقيعه ، ويقال ان شجر الدر كانت بارعة فى تقليد توقيع السلطان ٠ وأسرعت شجر الدر أيضا فى إستدعاء **توران شاه بن الصالح أيوب** ليحل محله فى حكم البلاد .

وعلى الرغم من الإحتياطات التى إتخذتها شجر الدر لإخفاء خبر وفاة زوجها السلطان الصالح إلا أن هذا الخبر تسرب إلى الصليبيين ٠ ولذلك رأى لويس أن يسرع بالهجوم مستغلا الظروف السيئة التى أمست عليها البلاد وليتمكن من إنزال ضربه بالمسلمين قبل أن يصل توران شاه .

وهاجم الصليبيون المنصورة على حين غفلة من أهلها (فبراير ١٢٥٠م) ودون أن يستمعوا إلى

أوامر لويس الخاصة بالإنتظار والتريث ٠ وإندفع الصليبيون داخل المنصورة وأوغلوا فى طرقاتها مما أوقع الإضطراب والهلع فى نفوس الجند وأهالى المدينة .

ولكن سرعان ما إستعاد الجيش الإسلامى قواه ، وتزعمه أحد المماليك ويدعى بيبرس البند قدارى الصالحى ، ونجح بيبرس فى إنقاذ الموقف ، وإنقض على الصليبيين فى دروب المنصورة ، وأعمل فيهم القتل ، وبلغ عدد ضحاياهم بضعة آلاف ٠ وإنتهت المعركة بهزيمة الصليبيين وفرارهم ٠

وأعادت معركة المنصورة الثقة إلى المسلمين ، واشتدت هجماتهم على الصليبيين وألحقوا بهم خسائر فادحة فى الأرواح ٠ أما عن الصليبيين فبدأ عددهم يتناقص بسبب كثرة ضحاياهم فى المنصورة من ناحية والوباء والأمراض التى انتشرت فى معسكرهم من ناحية أخرى .

ووصل توران شاه إلى المعسكر الإسلامى بالمنصورة فارتفعت روح الجند المعنوية ، وسلمت له شجر الدر مقاليد الأمور وبويع بالسلطنة ٠ وبدأ السلطان توران شاه يخطط مع كبار الأمراء لمواجهة الصليبيين وإنزال الهزيمة بهم ٠ ونظرا للظروف السيئة التى أمسى فيها الصليبيون ، شرع لويس فى فتح باب المفاوضات مع المسلمين ٠ ولكن رفض المسلمون وتوران شاه المفاوضات لأنهم كانوا على يقين من الوضع السيء الذى أمسى فيه الصليبيون

ورأى الملك لويس أنه من الضرورى العودة إلى دمياط والتحصن بها ، وتراجع الصليبيون نحو دمياط ، ولكن تعقبهم المسلمون ، وأنزلوا بهم خسائر فادحة ، حتى وصلوا إلى **قرية فارسكور** وعندها كانت نهايتهم ، فقد إشتد المرض على لويس ومعظم رجاله ، وأحاط بهم المسلمون وأعملوا فيهم القتل والأسر ٠ وكان على رأس الأسرى لويس التاسع نفسه ، الذى سيق مكبلا بالأغلال إلى المنصورة حيث أسر وسجن فى دار القاضى إبن لقمان ٠ وقد أكرم توران شاه الملك لويس التاسع ، ورتب له من يقوم بخدمته وهو الطواشى صبيح ، كذلك أرسل له خلعة نفيسة ليرتديها ٠ وأشاد المؤرخون الصليبيون بتلك المعاملة الحسنة التى عومل بها لويس التاسع وهو فى الأسر .

وبعد أن أمضى لويس التاسع فى الأسر وقتا قليلا ، طلب السلطان توران شاه فتح باب المفاوضات معه ، وعقدت فى النهاية معاهدة بين الطرفين وكانت أهم بنودها :

١- أن يسلم الصليبيون دمياط للمسلمين كفدية عن الملك لويس ٠

٢- أن يدفع الملك لويس مبلغ ثمانمائة ألف بيزانت (عملة ذهبية بيزنطية) فداء لباقى الأسرى الصليبيين ٠

٣- إطلاق سراح أسرى الجانبين ٠

٤- أن تكون مدة الهدنة عشر سنوات ٠

وبعد توقيع بنود المعاهدة رحل لويس التاسع إلى أوربا بعد فشل حملته على مصر ٠

جهود سلاطين المماليك فى تصفية الوجود الصليبى فى بلاد الشام :

قامت دولة المماليك بعد زوال الدولة الأيوبية فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، وأثبت المماليك قدرتهم على القيام بدورهم فى حماية الوطن العربى من الأخطار الكبرى التى هددته سواء من جانب الصليبيين أم من جانب المغول ٠

الظاهر بيبرس والصليبيون : -

وكان السلطان الظاهر بيبرس البند قدارى أول سلاطين المماليك الذين أدركوا الخطر الصليبى على بلاد الشام ، لذلك وضع نصب عينيه مهمة القضاء على الصليبيين وطردهم من بلاد الشام ٠

ومن أجل ذلك بدأ يتخلى عن سياسة المهادنة التى أتبعها المماليك قبله نحو الصليبيين ، وكانت الضرورة قد أجبرتهم عليها حتى لا يقاتلوا عدوين فى وقت واحد أى المغول والصليبيين

وبدأ بيبرس هجماته على الصليبيين فى نوفمبر من عام ١٢٦١م عندما قام بالهجوم على إمارة أنطاكية مرة ثانية فى صيف عام ١٢٦٢م ٠ وفى هذه المرة قام الجيش المملوكى بحصار مدينة أنطاكية نفسها وأوشك على الإستيلاء عليها لولا تدخل ملك ارمينية الصغرى الذى إستنتجد بالمغول مما ترتب عليه فك حصار أنطاكية ٠

ثم وضع بيبرس لنفسه خطة لإضعاف الصليبيين وتتلخص هذه الخطة فى عقد سلسلة من التحالفات مع جميع القوى الإسلامية التى تحيط بالصليبين ، وذلك حتى يمنع هذه القوى من أن ترسل أو تسمح بمرور أى إمدادات للصليبيين ، وليستعين بهذه القوى لمنع أى تحالف بين المغول والصليبيين ، ولإيقاف قوات المغول إذا ما حاولت التقدم لمساعدة الصليبيين ٠

وفى عام ١٢٦٥م بدأ بيبرس حربه الشاملة ضد الصليبيين ، ونجح فى الإستيلاء على قيسارية ويافا وأرسوف التى إستسلمت بعد مقاومة شديدة ٠

وأخيرا توج بيبرس إنتصاراته على الصليبيين بالإستيلاء على أنطاكية فى عام ١٢٦٨م

أما عن النتائج التى ترتبت على سقوط أنطاكية فتتلخص فيما يلى : -

- كان سقوط أنطاكية فى أيدى المسلمين (١٢٦٨م) ذا أهمية لأنها ثانى إمارة صليبية بعد الرها – أسسها الصليبيون فى الشرق منذ ١٠٩٧م ٠
- كان إستيلاء المماليك على أنطاكية دليلا على إنهيار البناء الذى أقامه الصليبيون فى بلاد الشام إذ لم يبق للصليبيين بعد ذلك من المدن الكبرى سوى عكا وطرابلس ٠وحدث فى عام ١٢٦٩م أن توج هيو الثالث ملك قبرص على مملكة بيت المقدس الصليبية ، وأخذ يعمل على تقوية جبهة الصليبيين

بالشام ٠ ونقم بيبرس على قبرص وملكها هيو الثالث لجهوده من أجل توحيد القوى الصليبية بالشام من ناحية ، ولإعتداء أهل قبرص على السفن الإسلامية فى شرق البحر المتوسط من ناحية أخرى

ولذلك أرسل بيبرس أسطولا فى عام ١٢٧٠م لغزو جزيرة قبرص ، وفى عام ١٢٧١م إستأنف بيبرس نشاطه ونضاله ضد الصليبيين وبدأ بمهاجمة عدد من مدن إمارة طرابلس إذ كانت هذه الإمارة هى الهدف التالى لبيبرس بعد سقوط أنطاكية ٠ وأرسلت تلك المدن التابعة لإمارة طرابلس إلى بيبرس تطلب عقد الصلح وفتح باب المفاوضات واستجاب بيبرس لطلبها ، وأرسل وفدا لمفاوضتها ٠ ويقال إن بيبرس ذهب بصحبة هذا الوفد متخفيا فى زى خادم ليتعرف أثناء إقامته فى طرابلس على تحصيناتها وأحوالها تمهيدا لحصارها فيما بعد٠

المنصور قلاوون والصليبيون : -

تولى قلاوون عرش سلطنة المماليك فى مصر والشام فى عام ١٢٧٩م ، وواجه نفس المشاكل التى واجهها سلاطين المماليك قبله ، ومنها عدم إعتراف بعض الأمراء به كسلطان على البلاد وخروجهم عليه، ومن هؤلاء **سنقر الأشقر** نائب الشام ٠ ودفعه ذلك إلى جانب خطر المغول إلى أن يعقد مع الصليبيين هدنة لمدة عشر سنوات تبدأ من عام ١٢٨١م ، وذلك ليفرغ لمواجهة المغول من ناحية ، ويتمكن من القضاء على ثورة سنقر الأشقر من ناحية أخرى ٠

على أن الأمور لم تكد تهدأ للسلطان قلاوون حتى لجأ إلى نقض ذلك الصلح وتلك الهدنة التى عقدها مع الصليبيين ٠ وبدأ يضع نسب عينيه العمل على تقويض بناء الصليبيين فى الشام ٠ وبدأ بالفعل فى تنفيذ ذلك منذ عام ١٢٨٥م حينما شن هجومه الأول على حصن المرقب ، وهو من أقوى الحصون الصليبية فى بلاد الشام ، مستغلا فى ذلك الخلافات الداخلية بين القوى الصليبية بالشام من جهة ، وعدم وصول إمدادات اليهم من الغرب من جهة أخرى

واستمر حصار قلاوون لحصن المرقب مدة ٨٨ يوما ، استسلم بعدها أهل الحصن وسمح السلطان لحامية الحصن أن ترحل عنه إلى عكا ٠

وترتب على إستيلاء السلطان قلاوون على حصن المرقب إثارة الرعب والفزع فى قلوب أصحاب الحصون والمدن الصليبية فى بلاد الشام ٠ وسارع بوهيموند السابع أمير طرابلس لمسالمة قلاوون وعقد هدنة معه ، كذلك فعلت مارجريت أميرة صور ، وعقد ملك أرمينية الصغرى أيضا الصلح مع السلطان لقاء دفع جزية سنوية وإطلاق سراح أسرى المسلمين الموجودين فى بلاده ٠ وبعد ثلاث سنوات من عقد الإتفاق مع أمير طرابلس بوهيموند السابع نقض أهل طرابلس بنود هذا الإتفاق ، وإعتدوا على التجار المسلمين ، وقطعوا الطريق على المسافرين٠ وانتهز السلطان المنصور قلاوون هذه الفرصة وأستعد

للزحف على طرابلس ٠ وخرج بالفعل فى فبراير من عام ١٢٨٩م من مصر متجها إلى بلاد الشام على رأس جيش ضخم ٠ وعندما وصل إلى طرابلس ضرب الحصار عليها ، واستمر الحصار لمدة ٣٩ يوما ، سقطت بعدها طرابلس فى أيدى قلاوون بعد قتال عنيف ، وبعد أن تم تدمير المدينة القديمة ، بنى السلطان قلاوون طرابلس الجديدة وجعلها فى الداخل بعيدا عن شاطيء البحر وذلك خوفا من تهديد الأساطيل الصليبية لها .

وسرعان ما سقطت معظم المراكز والمدن التابعة لإمارة طرابلس بسهولة فى أيدى المماليك ومن بينها بيروت ٠ وبذلك لم يبق للصليبيين فى بلاد الشام سوى عاصمتهم عكا فضلا عن صيدا وصور ٠ وكانت عكا من أعظم المدن الصليبية وأكثرها حصانة ، اذ أصبحت المركز الجديد لمملكة بيت المقدس بعد استيلاء صلاح الدين على مدينة بيت المقدس ٠ وفى البداية لم يرغب السلطان قلاوون فى الاستيلاء على عكا مباشرة بعد استيلائه على طرابلس ، ولذلك عقد صلحا مع الصليبيين ، ووافق على تجديد الهدنة معهم لمدة عشر سنوات ثم توفى السلطان قلاوون فى نوفمبر ١٢٩٠م

السلطان الأشرف خليل والصليبيون :

وبعد وفاة السلطان المنصور قلاوون حمل ابنه الأشرف خليل لواء طرد البقايا الصليبية من آخر معاقلها بالشام ألا وهى عكا ٠ فبعد أن تخلص الأشرف خليل من المؤامرات الداخلية من قبل الطامعين فى السلطنة ، سار على رأس الجيوش التى كان أبوه قد أعدها إلى بلاد الشام وهنا خاب أمل الصليبيين الذين ظنوا أن وفاة قلاوون جاءت إرادة من الله لإنقاذ عكا من مصيرها المحتوم ٠ فأرسلوا سفارة إلى السلطان الأشرف خليل يسألونه العفو ، ولكن السلطان لم يقبل ما اعتذروا به ، وطلب من القوات الإسلامية فى مختلف مدن الشام أن تقابله عند عكا ٠

وفى الخامس من ابريل من عام ١٢٩١م ، وصل السلطان خليل إلى عكا وضرب عليها الحصار ، ورماها بالمجانيق رميا متواصلا مما أدى إلى إحداث عدة ثقوب فى سور المدينة ٠ وبذل الصليبيون محاولة أخيرة للدفاع عن عكا وإنقاذها من السقوط المحتوم ، فجمعوا كل قواتهم فى الشام وعكا ، فضلا عن البحارة الايطاليين والصليبيين الجدد ٠ كذلك حاولت الهيئات والجاليات الصليبية أن تتناسى ما بينها من خلافات قديمة ، وتعاون الجميع من أجل الدفاع عن أسوار عكا وقلعتها ٠

سقوط عكا وتصفية الخطر الصليبى : -

وشدد المسلمون هجماتهم على عكا حتى سقطت فى أيديهم (١٨ مايو ١٢٩١م) بعد أن ظلت فى أيدى الصليبيين قرنا أو يزيد ٠ وفر من استطاع الفرار من الصليبيين فى السفن إلى عرض البحر ولكن

غرقت بعض هذه السفن بسبب كثرة ما تحمله من الهاربين الفارين ٠

أما عن أهم النتائج التى ترتبت على سقوط عكا فهى : -

- كان سقوط عكا الضربة القاضية التى حلت بالصليبيين فى الشام ، فلم يعد لهم بعدها مقام فى بلاد الشام ٠
- استولى المسلمون بعد سقوط عكا فى سهولة ويسر على المراكز والمدن القليلة التى كانت بأيدى الصليبيين ومن بينها صور وصيدا وطرطوس وغيرها ٠ وبذلك تم تطهير بلاد الشام من الصليبيين على أيدى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ٠

وعلى هذا النحو إنتهى أمر تلك الجموع الصليبية ، وعادت بلاد الشام إلى أبنائها الحقيقيين من المسلمين العرب ٠

المغول وسلاطين المماليك:

المغول قبائل رعوية همجية وثنية كانت تعيش فى أواسط آسيا ، وتحت ضغط العامل الإقتصادى الذى يتمثل فى زيادة السكان زيادة كبيرة وعدم توافر الطعام ٠ هاجرت هذه القبائل فى صورة غزوات هدامة ضخمة تدمر كل ما يقابلها وتحرق المدن والقرى ولا يهمها سوى أن تنجو من خطر الموت ومن آلام الجوع ٠ واستطاع جنكيز خان زعيم المغول أن يوحد صفوفهم ثم نجح فى الاستيلاء على الصين ٠

ولم يكتف بذلك بل وضع الخطط على حساب أملاك المسلمين ٠ وبدأ يتجه نحو الشرق فى محاولة منه للسيطرة على فارس والشام ومصر ٠ وفى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى تمكن المغول من القضاء على الدولة الخوارزمية وسيطروا على فارس ، وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمامهم إلى بغداد ٠

وكانت الخلافة العباسية فى ذلك الحين تعانى من ضعف شديد بسبب سيطرة الأمراء على الخلافة وشئونها وبسبب الفتن الداخلية والانقسامات المذهبية ، ولهذه الأسباب لم تستطع الخلافة العباسية وعلى رأسها **الخليفة المستعصم** أن تصمد فى وجه المغول خاصة وأنها كانت تفتقر إلى القوة العسكرية والحربية اللازمة لمواجهتهم ٠ وفى فبراير من عام ١٢٥٨م اقتحم بغداد ، ونشروا الرعب والفزع فى كافة أرجائها، وقتلوا من رجالها ثمانمائة ألف شخص فى مذبحة رهيبة استمرت أربعين يوما ثم أشعلوا النيران فى المدينة ٠ وقتلوا الخليفة العباسى المستعصم ولم يكتفوا بذلك ، بل حاولوا القضاء على جميع العباسيين فكانوا يقتلون كل من وجدوه حيا منهم وكان سقوط بغداد على أيدى المغول فى عام ١٢٥٨م نكبة كبيرة حلت بالعالم الإسلامى ، فها هى عاصمة الخلافة بغداد مدينة السلام تسقط فى يد قبائل همجية ، ويقال إنهم قضوا على تراث الحضارة الإسلامية ، بأن وضعوا الكتب على هيئة جسر ليعبروا عليه نهر دجلة – وبذلك كان سقوط بغداد كارثة حلت بالدولة العباسية بل بالعالم

الإسلامى كله ٠ فقد كان العالم الاسلامى منذ وفاة الرسول ﷺ يعيش فى حمى الخلافة سواء كانت قاعدتها المدينة أم دمشق أم بغداد ٠ وبعد سقوط بغداد ومصرع الخليفة العباسى على أيدى المغول ، أصبح العالم الإسلامى بلا خلافة ولا خليفة ٠ وعلى هذا فقد كان الأثر النفسى من أهم الآثار التى حلت بالمسلمين بعد دخول المغول بغداد ١٢٥٨م الى جانب الآثار الحضارية والثقافية ٠

توغل المغول فى بلاد الشام ودور الناصر يوسف الأيوبى : -

ولم يكتف المغول بالإستيلاء على العراق ، ولم يكن من المتوقع أن تقف غزواتهم عند بغداد ، ولكنهم سرعان ما تطلعوا الى بلاد الشام ٠

وعندما أصبح خطر المغول على أبواب الشام ، لم يجد من يواجهه بل أن **الناصر يوسف الأيوبى** صاحب حلب ودمشق أرسل إبنه **العزيز** إلى هولاكو زعيم المغول يطلب مساعدته فى الإستيلاء على مصر من أيدى المماليك ، ويعلن خضوعه للمغول ٠ وقرر هولاكو بالفعل إرسال قوة من عشرين ألف فارس إلى الشام ٠ وإستولت هذه القوة على ميافارقين فى ديار بكر ، وذبح المغول المسلمين الموجودين بها ، وقطعوا رأس حاكمها ويدعى الكامل محمد الايوبى وطافوا بها فى جميع أنحاء الشام ٠

أما عن الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق فلم يشفع له أنه أرسل ابنه العزيز إلى هولاكو ، فقد اعتبر هولاكو عدم حضور الناصر إليه بنفسه والإكتفاء بإرسال ابنه العزيز إهانة له ، فإتخذ من ذلك ذريعة للاستيلاء على بلاد الشام ٠ فاستولوا على حلب فى عام ١٢٦٠م وقتلوا وأسروا أهلها ، ودخل بقية ملوك الأيوبيين فى الشام فى طاعة هولاكو٠ وفر الناصر يوسف من دمشق إلى غزة وتركها تسقط فى أيدى المغول ، هى وسائر مدن الشام ٠ ووصل المغول بعد استيلائهم على بلاد الشام إلى غزة ولم يعد أمامهم سوى مصر ٠

السلطان المظفر قطز وموقعة عين جالوت : -

فى الوقت الذى إجتاح فيه المغول بلاد الشام ، كان يتولى سلطنة المماليك فى مصر شاب صغير هو المنصور (على) وكان يتولى نيابة السلطنة الأمير سيف الدين قطز ٠

وظهر السلطان الطفل بصورة غير لائقة بسلطان مصر فى الوقت الذى هددتها أخطار وتهديدات المغول ، إذ كان يقضى وقته فى اللهو واللعب وركوب الحمير بالقلعة مما أغضب الأمراء عليه ٠

وأحس نائب السلطنة (قطز) بخطورة الموقف لذلك سارع بدعوة أمراء المماليك للإجتماع فى القلعة ودارت المناقشات حول الإستعدادات لملاقاة المغول وما يلزم ذلك من نفقات ٠ وقام بعزل المنصور (على) ونفاه هو وأخاه وأمهما ، وتولى هو عرش السلطنة حتى يستطيع مواجهة خطر المغول

الداهم لم يكد (قطز) يتولى عرش السلطنة حتى حضر إليه رسل (هولاكو) ومعهم كتاب كله تهديد ووعيد، إذ يذكرون فيه ما فعله المغول فى العراق والشام وينذرونه سوء العاقبة إذا ما حاول مقاومتهم، ويطلبون من المماليك الأعتراف بالولاء والطاعة للمغول وبسيادتهم على مصر والشام ٠ ولم يعبأ قطز بتهديد المغول، ومزق الخطاب ، وقتل سفراء هولاكو وعلق رؤوسهم على أبواب القاهرة ، وبدأ يعد العدة لمحاربة المغول٠وكان مسلك (قطز) هذا حيال سفراء المغول فيه جرأة فى وقت أثار فيه المغول موجه من الرعب والفزع ٠ كما يظهر لنا مدى شجاعة (قطز) ومدى حبه للدفاع عن العالم الاسلامى وكراهيته الشديدة للمغول الذين قتلوا أبوه حاكم الدولة الخوارزمية ، واستولوا على أملاكه وباعوه هو فى أسواق الرقيق٠

بدأ (قطز) يجرى استعدادته للدخول فى معركة حاسمة ضد المغول فقام بجمع المال اللازم ، وأخذ يستنفر الجند ، ويجمع العساكر من القاهرة وسائر الإقاليم حتى يتسنى له أن يجمع جيشا كبيرا ٠ وحرص (قطز) فى هذه المرحلة على أن يكون المماليك البحرية إلى جواره فى تلك الأزمة اذ كان (قطز) فى حاجة إليهم لأنهم قادة عسكريين ممتازين ومدربين على جميع أنواع التدريبات العسكرية ٠ وكان هؤلاء قد فروا إلى الشام ولكنهم عندما سمعوا بخطر المغول على الشام ثم على مصر تناسوا أحقادهم ، وعادوا إلى مصر وعلى رأسهم الأمير بيبرس ، ورحب بهم (قطز) فى مصر وأحسن استقبالهم ، وجعل بيبرس قائدا لهم ٠

وفى الوقت الذى تماسك فيه المماليك لصد خطر المغول ، بدأت عوامل الضعف تدب فى صفوف المغول إذ توفى خاقانهم الأعظم منكو خان فى أغسطس ١٢٥٩م وتنازع أخوته بعد وفاته حول أقتسام إمبراطورية المغول الواسعة ، واضطر هولاكو إلى العودة إلى قراقورم عاصمة المغول تاركا جيشه فى الشام تحت قيادة كتبغا مما أدى إلى إضعاف قوة المغول بالشام ٠ وقسم (قطز) جيشه إلى قسمين الأول: هو طليعة الجيش أو مقدمته وكانت بقيادة بيبرس البندقدارى ٠ وتوجه هذا القسم إلى (غزة) حيث التقى بمقدمة جيش المغول وعلى رأسها (بيدرا) وظهر فى هذه المعركة ذكاء بيبرس وخبرته الحربية فقد استطاع أن يلحق الهزيمة بقوات بيدرا ، وإحتل المماليك غزة وطاردوا المغول حتى نهر العاصى ٠

وكان لانتصار بيبرس على طلائع المغول وإحتلال (غزة) ومطاردة المغول رد فعل قوى عند المسلمين فى كافة أنحاء الشام ، إذ رأوا فى هذا النصر بادرة أمل ، وتشجعوا على قتال المغول ٠

أما (قطز) فقد خرج على رأس بقية الجيش واتجه نحو الشام فى يوليو ١٢٦٠م مارا بمدينة عكا الصليبية لإختصار الطريق ولمفاجأة جيش كتبغا المغولى – وفى هذه المرحلة برهن (قطز) على أنه دبلوماسى ماهر إذ عمل على عدم إستثارة الصليبيين بالشام حتى لا يقفوا إلى جانب المغول وأرسل رسله

اليهم يستأذنهم فى العبور بجيشه لقتال المغول فوافقوا على الفور ٠

وعبر الجيش المصرى إقليم الجليل إلى الأردن ، فى الوقت الذى فر فيه بيدرا من غزة متوجها إلى كتبغا وأخبره بالهزيمة التى حلت به ، وما تبع ذلك من زحف (قطز) بجيشه إلى الشام وغضب كتبغا أشد الغضب وقرر الإستعداد لملاقاة جيش (قطز)

وعندما علم قطز بذلك وضع خطة عسكرية محكمة تنم عن ذكاء عسكرى فذ وتتلخص فى أن تقوم طلائع الجيش وعلى رأسها بيبرس بمناوأة جيش كتبغا عند اقترابه ، بينما يختبيء الجزء الأكبر بين الأحراش والغابات المحيطة بعين جالوت (قرية بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين) مشكلا بذلك كمينا لجيش كتبغا ، وما أن اقترب كتبغا المغولى حتى بدأت المناوشات بينه وبين طليعة جيش (قطز) بقيادة بيبرس (سبتمبر ١٢٦٠م) واعتقد كتبغا أن هذه المقدمة هى كل جيش المسلمين ٠ وأخذ بيبرس فى التراجع – وفق الخطة المرسومة – أمام هجوم كتبغا وظل يتقهقر فى إتجاه الكمين ٠ وفجأة خرج الجيش بقيادة (قطز) من الكمين من ثلاث جهات وحاصر جيش المغول ٠ غير أن كتبغا تماسك وأخذ يقاتل قتالا مستميتا وأثناء القتال اضطربت صفوف الجيش المملوكى نتيجة لما يتمتع به المغول من مقدرة حربية مما جعل قطز يلقى بخوذته على الأرض ويصرخ بأعلى صوته (وإسلاماه) ثم حمل بنفسه على العدو ، حتى تم له القضاء على المغول وقتل قائدهم كتبغا ، ووقع بقية الجيش المغولى بين أسير وقتيل فى حين فر من إستطاع الفرار ٠ وبذلك تم النصر على المغول الذين لم يهزموا قط منذ خروجهم من اقاصى الصين ٠

نتائج معركة عين جالـوت : -

أما عن النتائج التى ترتبت على معركة عين جالوت التى تعتبر من المعارك الحاسمة والهامة فى التاريخ ليس بالنسبة للمماليك فحسب بل وبالنسبة للعالم الاسلامى كله والشرق الاسلامى والحضارة الإسلامية بصفة خاصة ٠

فبالنسبة **للمماليك** كانت معركة عين جالوت من أخطر التجارب التى مرت بها الدولة المملوكية الجديدة ، كما أنها كانت من أقوى العوامل التى ساعدت على تدعيم ملكهم ٠ فقد حصل المماليك بإنتصارهم فى عين جالوت على ما كان ينقصهم من مجد لتثبيت أركان دولتهم ، فقد تناسى الناس بهذا الأنتصار أصل المماليك غير الحر وأنهم انتزعوا العرش من سادتهم الأيوبيين ٠

كذلك لو أن المماليك لم ينتصروا فى عين جالوت لفعل المغول بمصر وأهلها مثلما فعلوا بالعراق وأهله ٠ أو على الأقل لإستقروا فى بلاد الشام كما إستقروا فى العراق ، وقضوا على مظاهر الحضارة الإسلامية فى مدن الشام ومصر٠ وبذلك أنقذ انتصار المماليك على المغول فى عين جالوت الحضارة

الإسلامية من الدمار والإندثار ٠ فقد كان توغل المغول فى بلاد الشام من أهم التحديات التى واجهت الحضارة الإسلامية فى أواخر العصور الوسطى ٠

الى جانب ذلك أنقذت عين جالوت العالم من تدمير شامل على يد المغول فلو إنتصروا على المماليك كانوا سيأخذون مصر ثم بلاد المغرب ٠ ثم يتجهون نحو أوربا من جهة الأندلس ٠

أما عن العوامل التى ساعدت على إنتصار **المماليك فى عين جالوت** : -

أولا : شجاعة المماليك وحسن بلائهم اذ كانت تربيتهم العسكرية من الطراز الأول فالمماليك لم يقلوا بأى حال من الأحوال قدرة قتالية عن المغول ، فكانوا يجيدون الرمى بالسهام ويركبون الخيل ويبرعون فى التكتيك العسكرى كالمغول تماما ٠

ثانيا : الموقف السلبى للصليبين بالشام وعدم محاولتهم الإستفادة من الموقف وإستغلال تلك القوة الجديدة لإنزال الهزيمة بالعدو المشترك ممثلا فى المسلمين ٠

ثالثا : عودة هولاكو بجيشه أو بمعظم جيشه كان لها أكبر الأثر فى إنخفاض معنويات المغول وارتفاع معنويات المسلمين ٠

رابعا : بعد المغول عن مركزهم الأول ، فقد تعذر عليهم نقل المؤن والإمدادات عبر هذه المسافات الطويلة من وسط آسيا الى بلاد الشام اذ ليس لديهم الجهد والإمكانيات ، ولهذا كان من الطبيعى أن تنزل بهم الهزيمة ٠

وتكمن أهمية معركة عين جالوت فى أنها أعادت الوحدة الى المسلمين فى مصر والشام ، وأظهرت أن المماليك هم الدرع الواقى للوطن العربى والإسلامى فى الشرق الادنى والقوة الوحيدة التى إستطاعت الصمود فى وجه المغول ، بل وكسر شوكتهم ٠ ولذلك فهم بحق ورثة الأيوبيين الشرعيين فى حكم البلاد ٠

السلطان الظاهر بيبرس والمغول : -

الزينات فى الطرقات والحوانيت والأسواق تحية له وتكريما لبطولته ، إذ بالأمور تتطور بسرعة وتنتهى بمقتل قطز وتولى بيبرس عرش السلطنة ٠

ولم يلبث بيبرس أن وضع لنفسه سياسة تستهدف صد غارات المغول والصليبيين على بلاد الشام – وسبق أن تحدثنا عن علاقته مع الصليبيين والآن جاء دور علاقة بيبرس بالمغول ٠

وتتسم علاقة السلطان الظاهر بيبرس مع المغول بكونها علاقة عداء وعلاقة مودة ومحبة ، علاقة عداء مع مغول فارس وهؤلاء وثنيون وهم الذين أسقطوا الخلافة العباسية فى بغداد ، أما عن علاقة المودة فكانت مع مغول القفجاق أو (مغول القبيلة الذهبية) ، وكانوا قد إعتنقوا الإسلام وإشتد

العداء بينهم وبين أبناء عمومتهم مغول فارس ٠ ومغول فارس ومغول القفجاق هما فرعان من الفروع التى انقسمت إليها إمبراطورية المغول بعد موت جنكيز خان ٠

وبالنسبة لعلاقة بيبرس مع مغول فارس ، فقد أدرك السلطان بيبرس منذ اللحظة الأولى أن المغول لن ينسوا أبدا الهزيمة التى حلت بهم فى عين جالوت ، وأنهم لابد وأن يسعوا للأخذ بالثأر لما حدث لهم على أيدى المسلمين فى تلك المعركة ٠

ولم يكد يعلم المغول بموت قطز حتى أغاروا على (البيرة) فى عام ١٢٦٥م – وهى قلعة هامة على نهر الفرات – بقيادة بيدرا وكانوا يهدفون من وراء ذلك الاستيلاء على تلك القلعة ٠

وأظهر بيبرس همة كبيرة لصد خطر المغول ، فأرسل الجيوش الى الشام على دفعات ، ثم سافر بنفسه على رأس الدفعة الأخيرة إلى بلاد الشام ٠ وبينما هو فى دمشق وافته الأخبار بفرار المغول أمام الإمدادات التى أرسلها السلطان إلى البيرة مع الملك المنصور صاحب حماه ، وترك المغول عدتهم وأموالهم٠ وفى ذلك الوقت مات (هولاكو) خان المغول (عام ١٢٦٥م) فى فارس وخلفه إبنـه (أبغا)٠ وورث أبغا عن أبيه الحقد للمسلمين وللحضارة الإسلامية ٠ وكان أبغا يأمل أن يحقق نصرا كبيرا على المماليك ، وأن يدخل القاهرة إذا أستطاع لذلك سبيلا ، كما دخل أبوه بغداد وقضى على الخلافة العباسية بها ٠ ولذلك حاول أن يدعم علاقاته بالقوى المسيحية فى الشرق والغرب للإنتقام من المسلمين فى بلاد الشام ومصر ، فعقد علاقات ودية مع **الإمبراطور البيزنطى ميخائيل باليولوجوس** ، وتزوج من إحدى بناته٠ على أن الأحوال الداخلية والخارجية فى دولة المغول عند قيام أبغا فى الحكم كانت لا تساعده على الإستمرار فى معاداة المسلمين فى مصر والشام ، واضطر أبغا بن هولاكو إلى مصالحة الظاهر بيبرس ، وأسرع بإرسال الرسل إليه حاملة الهدايا وطالبة الصلح ٠ وحمل هؤلاء الرسل خطابا للسلطان يطلب فيه أبغا مصالحة بيبرس ٠ غير أن الخطاب كان ذا لهجة تهديدية إذ جاء فيه (أنت لو صعدت إلى السماء ، أو هبطت إلى الإرض ما تخلصت منا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا) ٠

ولكن بيبرس رفض مصالحة أبغا فإلى جانب أن لهجة خطاب أبغا كانت تهديدية ، فإن بيبرس لم يرض لنفسه أن يصالح المغول وهم الذين مزقوا العالم الإسلامى ، وقتلوا المستعصم خليفة المسلمين ودمروا بغداد مركز الخلافة والحضارة الإسلامية وحالفوا أعداء الإسلام وفعلوا بالمسلمين فى العراق والشام ما يتنافى مع قواعد الإنسانية والرحمة ٠

ورغم رفض بيبرس للصلح مع أبغا ، إلا أن الأخير عاد بعد ثلاث سنوات وأرسل رسولا ١٢٦٨م إلى بيبرس يكرر طلب الصلح وفى هذه المرة وسط أبغا ملك أرمينية فى طلب الصلح ، إلا أن لهجة الخطاب هذه المرة كانت مزيجا من التهديد والترغيب ، وأكثر من ذلك عمد أبغا إلى تجريح السلطان ومعايرته بأصله غير الحر ، والعمل على الحط من مكانته وقدره بين الملوك ٠ ولذلك رفض بيبرس الصلح مع أبغا

للمرة الثانية ، وأصر على محاربة أبغا وإنتزاع بلاد الخليفة التى أستولى عليها منه ٠ ويئس أبغا من مصالحة بيبرس ، لذلك لم يعد أمامه سوى مواصلة الهجوم على بلاد الشام ٠ وفى هذه المرة تحالف مع الصليبيين إذ اتفق معهم على القيام بهجوم مشترك على المسلمين فى بلاد الشام ٠ وعندما علم بيبرس بذلك أرسل قوات من الجند لتقيم فى أطراف الشام أستعدادا لصد المغول ، ثم خرج بيبرس بنفسه إلى الشام ، ولكنه لم يكد يصل إلى دمشق حتى سمع بهزيمة المغول وإنسحابهم من بلاد الشام ٠

غير أن أبغا عاد وجدد هجماته على بلاد الشام فى عام ١٢٧١م فخرج بيبرس على رأس جيشه إلى حلب ، وأرسل فرقا من جنده إلى اطراف الشام والعراق ، فحلت الهزيمة بالمغول ٠

ويئس أبغا مرة أخرى من محاربة المماليك خاصة بعد أن تم عقد الصلح بين بيبرس والصليبيين ٠ وحرم المغول بذلك من حليف يعتمدون عليه فى صراعهم ضد المسلمين ، ولم يعد أمام أبغا إلا أن يرسل رسله طالبا عقد الصلح مع بيبرس للمرة الثالثة ٠ وأرسل أبغا عددا من الرسل إلى بيبرس لتحسين العلاقات بين الطرفين ، والتمهيد لعقد الصلح بين المغول والمماليك وفشلت هذه المحاولة الثالثة وأضطر السلطان بيبرس إلى اتخاذ سياسة هجومية ضد المغول ٠ ففى عام ١٢٧٧م قام بحملة هجومية على المغول للإنتقام منهم من ناحية ، وأشعارهم بقوة دولة المماليك من ناحية أخرى ٠ وأغار بيبرس فى حملته هذه على بلاد سلاجقة الروم ، بآسيا الصغرى وكان المغول قد تحالفوا معهم ٠

وفى أبريل من عام ١٢٧٧م دارت معركة فى آسيا الصغرى بين المغول وحلفائهم سلاجقة الروم وبين قوات بيبرس ٠ وإستطاع بيبرس أن يمزق فيها جيش المغول وحلفائهم سلاجقة الروم وبين قوات بيبرس (معين الدين سليمان) بعد أن قتل عدد ضخم من رجاله ومن المغول ٠

ودخل بيبرس قيصرية بعد ذلك ودعى له على منابرها ، وقدم له الأمراء من سلاجقة الروم فروض الطاعة والولاء ، ثم عاد إلى بلاد الشام ٠ أما أبغا فقد أنشغل بإضطراب الأمور فى دولته مما صرفه عن القيام بأى عمل إنتقامى ضد سلطنة المماليك ٠

السلطان المنصور قلاوون والمغول : -

توفى بيبرس فى عام ١٢٧٧م ولم تكن وفاته تعنى توقف العداء بين المماليك والمغول الذين ظلوا خطرا على مراكز الحضارة الإسلامية إذ ما لبث قلاوون أن إرتقى عرش السلطنة فى عام ١٢٧٩م فإنتهز مغول فارس فرصة الإضطرابات التى تعرضت لها مصر بعد موت بيبرس ٠ والفتنة التى قام بها سنقر الأشقر فى بداية عهد المنصور قلاوون وبدأوا يهددون سلطنة المماليك ٠ ولكى يتفرغ السلطان قلاوون لمواجهة المغول ، قام بتجديد الهدنة التى عقدها بيبرس مع الصليبيين لمدة عشر سنوات ، وذلك ليضمن عدم تحالفهم مع مغول فارس واستنجادهم بقوة أوربية أخرى ٠

وعندما علم قلاوون بقدوم المغول بجيوشهم وعلى رأسهم أبغا إلى حلب فى عام ١٢٨٠م وأنهم دخلوها وأحرقوا جوامعها ومدارسها ، وقتلوا كثيرا من أهلها – أرسل قلاوون حملة إلى حلب ، ولذلك أنسحب المغول منها محملين بالأسلاب إلى قواعدهم فى العراق ، مما يدل على أن حملتهم هذه المرة على حلب كانت حملة إستطلاعية استكشافية فحسب ٠

وفى العام التالى ١٢٨١م عاود أبغا الهجوم على بلاد الشام ، وتحالف معه فى هذه المرة (ليو الثالث ملك أرمينية الصغرى) ودارت (موقعة حمص) بين السلطان قلاوون وبين المغول ، وحلت الهزيمة بالمغول، وفر أبغا إلى بغداد بعد أن هلك عدد كثيرمن رجاله ٠ وما لبث أبغا أن توفى فى بغداد بعد قليل فى عام ١٢٨٢م ٠

وخلف أبغا أخوه (تكودار) الذى أعلن إسلامه وسمى نفسه أحمد وبذلك أصبح الإسلام يجمع بين الدولتين المملوكية ودولة مغول فارس ، وكان هذا سببا فى تحسن العلاقات بينهما فى عهد (أحمد تكودار) ٠

وبادر أحمد تكودار بإرسال رسالة للسلطان قلاوون ، أعلن فيها رغبته فى خدمة الإسلام ، وحقن دماء المسلمين ، وإقامة العلاقات الطيبة بينه وبين إخوانه وجيرانه المسلمين ٠ ورحب السلطان المنصور قلاوون بدعوة أحمد تكودار ورد عليه برسالة أعلن فيها إستعداده للتعاون على خدمة الإسلام والمسلمين ٠ على أن احمد تكودار لم يظل على عرش المغول طويلا ، اذ ما لبث أن قتل على يد إبن أخيه (أرغون) الذى تولى العرش مكانه فى عام ١٢٨٤م

وكانت سياسة أرغون تجاه المسلمين على عكس سياسة أحمد تكودار فقد إضطهد المسلمين فى بلاده وعاملهم معاملة سيئة وأبعدهم عن مناصبهم وساءت العلاقات بين المماليك والمغول ثانية وشعر المماليك بضرورة إجلاء المغول عن العراق ٠

على أن سلاطين المماليك – بعد قلاوون – كانوا لا يستطيعون القيام بذلك المشروع الضخم إذ أستنفدت حروبهم مع الصليبيين كثيرا من جهودهم فأكتفى الإشرف خليل بالإستيلاء على قلعة الروم فى عام ١٢٩٢م وهى تقع غربى الفرات ، وكان المغول يتخذونها قاعدة للوثوب منها على بلاد الشام ٠

وسرعان ما تطرق الضعف إلى دولة المغول بعد أرغون ، وخلف غازان أبيه أرغون فى حكم المغول – وقد أشهر غازان إسلامه وأظهر حماسة كبيرة فى نصرة المسلمين ٠

ورغم إسلام غازان إلا أنه لم يحدث تقارب بينه وبين المماليك وذلك لأنه أعد حملة كبرى لغزو بلاد الشام فى عام ١٢٩٩م ، وحاول الناصر محمد بن قلاوون – سلطان المماليك فى ذلك الوقت – أن يتصدى له ولكنه لم ينجح فى ذلك وتمكن المغول من إنزال الهزيمة بالمماليك عند **مجمع المروج** بين حمص وحماه ، وفر الناصر محمد إلى دمشق ٠

ولكن ما لبث الناصر محمد أن عاد إلى مصر ليعد جيشا كبيرا لوضع حد لإغارات المغول على بلاد الشام ، وخرج الناصر محمد على رأس جيشه متجها إلى الشام ، ودارت بينه وبين المغول موقعة (**مرج الصفر**) قرب دمشق ، وحلت الهزيمة بالمغول ١٣٠٢م وولوا الأدبار عبر نهر الفرات ٠ وعادت بلاد الشام من جديد إلى حوزة المماليك ٠ وأنتصر المماليك على أكبر التحديات التى واجهت الحضارة الإسلامية فى أواخر العصور الوسطى وأستقرت العلاقات الطيبة بين المماليك ومغول فارس فى نهاية الأمر بعقد صلح بينهما ٠

أسئلة الفصل السادس

(١) بم تفسر...؟

أ) مجىء الحملة الصليبية الثانية إلى الشام.

ب) إعجاب الصليبيين والأوروبين بشخصية صلاح الدين الأيوبى.

ج) تحول الحملات الصليبية إلى مصر.

(٢) قارن بين موقف الصليبيين من المسلمين فى بيت المقدس عندما دخلوها سنة ١٠٩٩م فى الحملة الصليبية الأولى - وموقف صلاح الدين من الصليبيين بعد أن استعاد المدينة ودخلها منتصرا؟

(٣) وضح بأسلوبك الشخصى العوامل التى ساعدت صلاح الدين الأيوبى فى الانتصار على الصليبيين.

(٤) ما النتائج التى ترتبت على...؟

أ) سقوط بغداد فى أيدى المغول.

ب) هزيمة المغول فى عين جالوت.

ج) استرداد المسلمين لإمارة الرها.

د) عقد اتفاقية يافا عام ١٢٢٩م.

هـ) سقوط انطاكية فى أيدى المسلمين ١٢٦٨م

(٥) دلل على صحة العبارات التالية تاريخيا:

أ) كان للمماليك دور بطولى فى تصفية الخطر الصليبى.

ب) للحروب الصليبية دوافع دينية.

ج) قسوه الصليبين عند دخولهم بيت المقدس.